مملكة مورستان

رواية

م. عبد الله عبد المنعم

بطاقة الكتاب

مملكة مورستان

م.عبد الله عبد المنعم

رواية

رقم الإيداع : ١٥٢٢٣ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي
٣ - ٣١٦٦ - ٩٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨
الطبعة الأولى
عدد الصفحات: ٢٣٤
تاريخ الإصدار: يوليو ٢٠٢٥

الإخراج الفني و المراجعة اللغوية
دار وادي عبقر للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار نشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب إلا بموافقة كتابية من الكاتب والناشر

دار وادي عبقر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيت الإبداع.. وموطن العباقرة

wadiabkr.wixsite.com /wadiabkr
wadiabkar@gmail.com
www.facebook / wadiabkar
www.youtube.com / wadiabkr
٠١٥٥٥٥١٧٤٢٦
٠١١٤١٧٢٨٦٢٥
٠١٢٢١٤٨١٨٥٦
٠١٠٩٧١٥٤٣٣٢
٠٨٦٢١٦٤٤٢٨

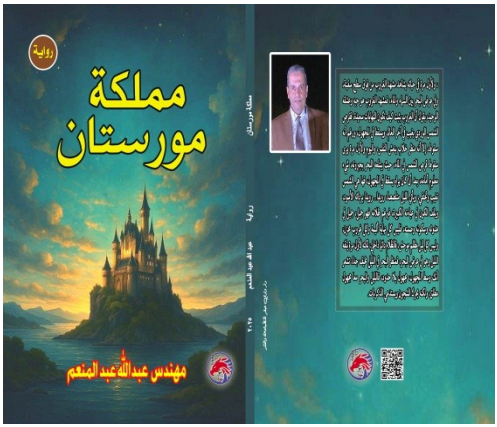

مملكة مورستان

م. عبد الله عبد المنعم

رواية

الإهداء

إلى كل من شعر يومًا أن العالم من حوله جزيرة ضيّقة عالية الأسوار، متّسعة القيد، مزدحمة بالتكرار.

إلى من قاوم العبث بالعقل، وتمسّك بالحلم وسط صراع لا يرى فيه أحد الحقيقة كاملة.

إلى كل عمل بجد واجتهاد وسلم أمره إلى الله.

أهدي هذه الرواية

مهندس عبد الله عبد المنعم

ت/ ٠١٢٢٣٣١١٧٥٢

(١)

هبطت الشمس على استحياء، تجر ذيول الضوء خلفها، وكأنها تودّع العالم بنظرة أخيرة مفعمة بالحنين، جلس نور خان البالغ من العمر ثلاثين عاما في يومه الأول على السفينة - بعد أن تم تعينه عليها واستلام وظيفته الجديدة بها - ولأول مرة في حياته يشاهد مشهد الغروب من فوق سطح سفينة، وفي عرض البحر بين السماء والماء، فمشهد الغروب هو حبه وعشقه الوحيد، يقول أن الغروب يثبت كيف تكون النهايات سعيدة، فقرص الشمس الوردي يغيب في آخر العالم، ويسقط في المجهول، ورغم أنه سقوط، إلا أنه منظر خلاب ينعش النفس، واليوم ولأول مرة يرى سقوط قرص الشمس في الماء، حيث يبتلعه البحر بجبروته، شيء معلوم أمامه، بعد أن كان يراه يسقط في المجهول، فها هي الشمس تغيب وتختفي، ويأتي الليل متلصصا، رويدا.. رويدا بردائه الأسود، ويلف الكون في عباءته الكبيرة، فبرغم ظلامه فهو جميل، جميل في هدوئه وسكونه وصمته، فليس كل نهاية أليمة وكل غروب محزن، وليس كل ليل مظلم موحش، فالظلام دائما داخلي، لكنه لأول مرة يلفه الليل وهو في عرض البحر، فمنظر البحر في الليل مخيف جدا، تشعر أنك وسط

المجهول، مجهول بلا حدود، فالليل والبحر معا مجهول مطلق، ولكنه يحرك الشجون ويستدعي الذكريات.

تخرج نور في كلية التجارة بتقدير امتياز، وحصل على دورات في الكمبيوتر والبرمجة، وكورسات في اللغة الإنجليزية ليكون مؤهلا للوظيفة التي نالها وبحث عنها كثيرا، وهى عمله في خط ملاحي من أكبر الخطوط العالمية، وها هو استلم عمله بشركة الملاحة العملاقة التي كان يتمناها، وكاد قلبه أن يقف من فرحة الفوز بها، فالراتب دَرْبٌ من الخيال، يعادل عشرة أضعاف مرتبة السابق في شركة الاستيراد والتصدير، وهنا التعامل بالدولار وهذه البداية فقط، كيان له شكله واحترامه، فمجرد أن يصرح لأحد أنه يعمل بخط ملاحي ويعلن اسم الخط، يحصد الاحترام والتقدير من المستمع، أحس أنه لو تقدم لأي بنت، ومهما كان منصب أو وضع والدها الاجتماعي سيرقص فرحا به كعريس لابنته، تم تعينه مسئولا عن إدخال بينات كمبيوتر للسفينة العملاقة التي تنقل آلاف الحاويات، فالرحلة تستغرق من ثلاثة إلى أربعة أشهر، وهذا لا يمثل أي مشكلة له، فبعد وفاة والديه ليس له أحد في مصر يخاف عليه أو يسأل عنه، فهو وحيد والديه لا أخ ولا أخت، كذلك كان والديه وحيدين، فهو كما يقولون (مقطوع من شجرة) ولد لأب مصري وأم أوكرانية، وأخبره والده أن

أمه وقت دراستها فازت بلقب ملكة جمال الجامعة كلها وليس كلية الطب فقط، وهو من فاز بها، وعائلة أمه في أوكرانيا ولا يعرف نور عنها شيء فقد تزوجا وعاشا في روسيا، فمنذ عاد والده به وعمره تسع سنوات بعد وفاة أمه إثر حادث سيارة، لم يسافر إلى أوكرانيا قط، ولم يتواصل مع العائلة، فهي من كانت له فقط هناك، فنور وحيد لا يملك إلا بعض الأصدقاء كبروا معا، وعاشوا معا بالبلد التي عشقها، وعاش بها وعاشت فيه أم الدنيا مصر، وفي منطقة شعبية جميلة، سكن بها والده بعد عودته من روسيا لأن أصدقائه بها، وافتتح عيادته بها وعاش حتى رحل عن الدنيا، فالمنطقة الشعبية الحياة بها جميلة، وإيجار الشقق أقل من غيرها، والمناطق الشعبية هي مصنع الرجال، تنتج رجالا بمعنى الكلمة كما قال له والده، وبها كل المتناقضات، فيكفيه التحدث معهم بالواتس اب، فالنت جعل العالم كقرية صغيرة، وكل شيء بين يديك، ويقرب البعيد، فلتغيب السفينة كما تشاء، ولتمر بموانئ كثيرة في دول مختلفة وكثيرة كما تشاء، لا أحد سيسأل عنه، وسوف يجوب العالم مجانا، بل وسوف يحصل على مقابل مادي كبير وبالدولار.

أحس أنه يحلم، ابتسم ابتسامة الرضا وشكر الله على كل هذه النعم، ووجد له صديق في الوظيفة على الكمبيوتر شاب صيني اسمه (ليو)

أسعده هذا لتبادل الثقافات، وليعلم أشياء عن جنسيات أخرى ناجحة، فأصبح هو وهذا الشاب صديقين، حيث كان مثله لا حدود لأحلامه، وإيمانه بالعمل كان كبيرا.

كان نور هو أحدث موظف بالسفينة، واعتمد على الصديق الصيني ليقدمه للمجموعة المقربة منه من فريق العمل، وكانوا حوالي خمسة أشخاص بوظائف مختلفة، فأصبح ضمن المجموعة وإن كان ليو أقربهم إليه، وسأله ليو وكذلك المجموعة نفس السؤال: - أأنت أوروبي؟.

- لا، بل أنا مصري.

- ملامحك أوروبية.

فيجيب نور باسما: - الأب مصري ووسيم أيضا من عائلة خان ذات الجزور التركية، حضر الجد الأكبر لمصر عام ١٨٥٠ للدراسة بالأزهر وتزوج من مصر، ولم يعد إلى تركيا مرة ثانية، لكن الأم أوكرانية، فقد سافر والدي إلى روسيا لدراسة الطب وكانت زميلته بالكلية (ثم أكمل ضاحكا) وملكة جمال الجامعة كلها وليس كلية الطب فقط.

ضحك الجميع: - هكذا تكون معادلة الوسامة صحيحة.

(٢)

سارت السفينة بثبات وسط عباب البحر الأحمر، تاركة خلفها ميناء السخنة، تشق طريقها وسط المجهول شقا وتتحداه، جلس نور وليو على سطح السفينة يحتسيا القهوة، والشمس تقترب من السقوط في البحر وقد تورد خدها خجلا، وأخذ نور يرتشف القهوة وهو ينظر إلى قرص الشمس الوردي في حب وهيام كحبيب يسامر حبيبته، نظر ليو إليه مبتسما وسأله: - أتحب منظر الغروب يا نور؟، انت رومانسي إذن.

- الغروب عشقي، فأنا أكتب الشعر.

- إذن أسمعني شيئا.

- نحن سنصل لميناء جدة، وسنبقى به ثلاثة أيام، هل يوافقون على خروجي ليوم واحد خارج الميناء، من الصباح حتى المساء فقط؟.

- إلى أين؟، ألديك أصدقاء هنا؟.

- إلى مكة لأداء العمرة

- ماذا تعني؟

- أرغب في الصلاة بالمسجد الأول للمسلمين في الأرض؟

- يمكن ذلك، وسوف نسأل الرئيس المباشر لنا (مستر موه)، إنه ماليزي ومسلم مثلك، ربما يوافق كمسلم.

فرح نور وطلب منه أن يذهب ويسأله، ولكن قبل أن يذهب، إذ بمستر موه يصعد إلى سطح السفينة، وفى سرعة البرق ناداه ليو، وقدم له نور القهوة كتحية، وحدثه ليو عن رغبة نور في يوم كإجازة يخرج فيه خارج الميناء للذهاب لمكة للصلاة، ابتسم موه: - تريد أداء العمرة يا نور؟

أجاب نور في سعادة بالغة حينما سمع كلمة عمرة، وتأكد أن موه مسلم بالفعل، وأحس بالرضا: - نعم مستر موه، هل ستساعدني؟

- سأحدث القبطان وأحصل لك على الموافقة، لا تخف، بالمناسبة موه يعني محمد، اسمي محمد

ابتسم نور وصاح: - الله أكبر.

ضحك موه وانصرف، وجلس نور ينظر آخر ضوء قبيل الغروب.

رست السفينة في ميناء جدة، وبدأ الشحن والتفريغ، وجاء مستر موه إلى نور فرحا: - مبارك، فالقبطان قد وافق.

تهلل وجه نور من فرط سعادته، فاردف موه: - غدا تبدأ، عند أذان الفجر، ستسمع الأذان هنا بوضوح، فنحن في دولة إسلامية.

- أشكرك مستر موه.

- قل محمد، ولك عندي هدية، سأعيرك ملابس الإحرام الخاصة بي، فأنا لى بكل عام عمرتين.

- كلمة الشكر لا تكفي والله يا مستر محمد.

- طبعا، أنا أريدك أن تدعو لي عند الكعبة.

ما إن دخل نور الحرم المكي، وهو يبحث بعينه وقلبه وكل حواسه عن الكعبة، اندفع مع طوفان الناس في الطرقات المؤدية للكعبة، وما إن ظهرت أمامه شامخة، تحتضن من يطوف بها، أحس بمهابة كبيرة، فلأول مرة يراها حقيقة أمامه وليس من خلال التلفاز، فهي أول زيارة له، انفجر في بكاء شديد لا يعرف من أين جاء، ولا متى يتوقف، فاندفع مع طوفان الناس حولها وبدأ الطواف، وكانت أول دعوة أن يثبته الله في وظيفته التي فتحت عليه أبواب الخير، وكان أول الخير هذه العمرة، فكانت دعوته: اللهم ثبتني في وظيفتي واجعلني ملكا متوجا بها. ودعا لوالديه وأصدقائه، ثم تمتع بمناسك العمرة متعة تفوق الوصف.

أبحرت السفينة إلى شينزن، وأبلغه ليو أنه حينما يصلون لشينزن سيبدأ إجازته ومدتها أسبوع، وسوف يلحق بهم، لأنه يسكن بمدينة شينزن مدينة الجمال، فالسفينة سترسو بها لمدة عشرة أيام إن لم تزيد، وحينما يعود سيأخذه في رحلة سياحية لشينزن أجمل مدينة صينية، وسيزور ناطحة السحاب بها وهى - بينج آن - التي يبلغ ارتفاعها ٥٩٩ مترا، وسيرى جمال شينزن من أعلى ناطحة سحاب، لكن عليه أن يخرج مع الرفاق ويتمتع بالمدينة ليلا حتى يعود هو.

رست السفينة في شينزن، وذهب ليو لقضاء أجازته، وبدأ نور يخرج ليلا مع الرفاق ليرى جمال شينزن الذي أذهله، وعاش أجمل أيام مرت به، كاد قلبه أن يقف من السعادة، إنها ليست وظيفة، إنها الجنة، وسعد أنه دعا - اللهم ثبتني في وظيفتي واجعلني ملكا متوجا بها - وعاد ليو وأخذه ليرى أماكن لم يصلها مع الرفاق، ولم يرى مثلها من قبل، فتمتع وحمد الله على هذه النعمة ودعا أن تدوم.

(٣)

أبحرت السفينة تاركة ميناء شينزن، متوجهة إلى نيويورك، فرقص نور فرحا، سيدخل أمريكا ويتجول بها بدون تأشيرة، فسعادته بهذه الوظيفة أكبر من أن توصف أو يستوعبها عقله، يتجول بدول لا يمكن أن يحلم بها، فها هو قام بأداء العمرة، وذهب إلى الصين ومدينة شينزين وهى من أجمل مدنها وجوهرة تاجها، والأن في طريقه إلى أمريكا وإلى نيويورك أجمل مدنها أيضا، وأصبحت جلسته المفضلة هي جلسة تأمل الغروب هو وليو عندما يشربان القهوة، ويتمتع برؤية القرص الوردي وهو يقبل صفحة البحر، وتشق السفينة عباب البحر المتلاطم الأمواج شقا، وهو ينظر إلى إعجاز الخالق في كونه، شمس تشرق وتغيب وتمر الأيام، يوم تلو الآخر، فأمامه حوالي خمسة وأربعين يوما لتصل السفينة إلى نيويورك، فانخرط نور داخل السفينة ليتعرف عليها جيدا، كي يزداد خبرة بكل ما بداخلها، وأصبح كل من فيها أصدقائه، وعرف بينهم بشاعر الغروب.

مر عشرون يوما في طريق نيو يورك لا يرى نور إلا الماء، جلس نور وليو ومعهما اثنان أخران في فترة الراحة أثناء الغروب، وبجوارهم إناء الشاي، وكعادته في الغروب ينظر إلى القرص

الوردي، الشمس الخجلى متمتعاً بمشاهدة غروبها مع كوب الشاي والقهوة وحديث أخوى مع رفاقه، وفجأة دوى صوت مرتفع جدا، كان مصدر الصوت غرفة الماكينات، انفجارات مدوية، وكأن السفينة ملغمة أو داست على لغم، تزلزلت السفينة زلزالا، كدمية في يد مجنون، واهتزت الحاويات وبدأت تتساقط من قوة اهتزاز السفينة، وسقط نور ومن معه أرضا من شده الانفجار، وفزع الجميع وعلت الصرخات من كل اتجاه، وفجأة شبت النيران في السفينة كلها، وكأنها مليئة بالبنزين، النار تهب من كل جزء فيها، وجاءت الأصوات مستغيثة ومحذرة الجميع: - إلى قوارب النجاة.

لم يدر نور أين يذهب وماذا يفعل، وكأنه شل والتصق في مكانه أرضا، فجذبه ليو صارخا فيه: - هيا إلى قارب النجاة.

قفز الأربعة بأقرب قارب نجاة قابلهم، وكل جماعة ذهبت إلى قارب نجاة قريب منها، مد ليو يده وأخذ سترة نجاة من القارب وأعطاها لنور ارتدى كل منهما سترة نجاة، ثم جذب ليو حبل تثبيت القارب لينزل إلى سطح الماء، ونور يتشبث بالقارب وكله فزع، وقد أصبح هو والقارب كقطعة واحدة من الرعب، وما أن لامس القارب صفحة البحر، حتى سقطت حاويتان بالقرب منه فزلزلتاه وطار من به إلى خارجه وسقطوا في البحر إلا نور المتشبث بالقارب، فقد نفعه فزعه

الزائد، طار القارب من ارتطام الحاويات بعيدا عن السفينة، ونظر نور على من كانوا معه بالقارب وجدهم يسبحون إلى قارب آخر أقرب إليهم من قاربه، فقاربه أبعده سقوط الحاويات بجواره، وقد أنقذهم من بالقارب واخذوهم معهم، فأصبح نور وحيدًا بالقارب لا يعرف ما يفعله، نظر إلى السماء مستنجدا، فرأى قرص الشمس الوردي يكاد أن يختفي في البحر، فهز رأسه قائلا: سوف أغرب مثلك وقد بدأت رحلة غروبي، الأن عرفت لماذا أحببت الغروب.

ما هي إلا ساعة واختفت السفينة وغاصت في البحر، فقد ابتلعها هذا الجبار، ولف الليل البحر بعبائه السوداء لفة محكمة، فلم يرى نور أي شيء، وغابت قوارب النجاة في الظلام الحالك، فجلس في القارب ينظر حوله فلا يرى شيئا، ظلام موحش يحمل في طياته الموت المحقق، وقد أصبح وحيدا، فلا ونيس يشجع كل منهما الأخر، ولا يدري في أي اتجاه يجب أن يجدف ليوجه القارب، فربما اتخذ الاتجاه الخاطئ، أحس أن النهاية أتية لا محالة، بل هي قد أتت وانتهى الأمر، فهو بمفرده في المحيط بقارب مثل قوارب الصيد في النيل، وهذا محيط وقد ابتلع السفينة العملاقة أمامه، فماذا هو فاعل بقارب ضعيف تغرقه موجة في نيلنا؟، وعرف الأن لماذا أكرمه الله بأداء العمرة حتى يموت وهو نظيف من الذنوب، وقرر ألا يجدف، خوفا أن

يكون الاتجاه الذي اختاره خطأ، فسوف يترك الاختيار لله وحده، ويترك القارب يسير باتجاه الموج ويفعل الله ما يشاء، ثم رفع يديه إلى السماء داعيا: اللهم إن موقفي لا يوجد مثله على الأرض الأن، وأنت خالقي ورازقي، وحياتي بيدك ومماتي بيدك، لن استعمل المجداف حتى لا أكون سببًا في هلاك نفسى، وتركت لك أمري يا صاحب الأمر، فوجه القارب كما تشاء، فلا مشيئة إلا مشيئتك.

(٤)

استيقظ نور، عينيه ثقيلتين جدا، فتحهما بصعوبة، كأن النيران تخرج منهما، حاول التركيز، أين أنا؟، وماذا حدث؟، وجد نفسه ممدا بأرضية القارب، رفع رأسه، الماء حوله من كل جانب، البحر بلا نهاية، تذكر أحداث الأمس القاتلة، أحداث كأنها يوم القيامة، لم ير أثرا لقوارب النجاة، أو أي قوارب أو سفن، فهو بمفرده في هذا المحيط، أين ذهب الجميع؟، هل نزلت كلمة النهاية؟، إنه نام أكثر من عشرين ساعة، هذا هو اليوم الثاني بعد الغرق قارب على الانتهاء، وقرص الشمس بدأ رحلة الغروب، تبسم ساخرا وقال: يبدو أنني سأغرب معا أيها القرص، إنني أعيش تحت رحمة البحر، فبموجة واحدة سينقلب القارب وتنتهي الحكاية، لكنه عاد وقال: لكننا كلنا في رحمة الله وهو يصرف الأمور كما يشاء.

أحس بالعطش والجوع بحث في القارب أسفل مكان الجلوس وجد صندوقا لزجاجات المياه، به خمس زجاجات ماء حجم واحد لتر، وعلبة بسكويت صغيرة، بها أثنى عشر باكو من الحجم الصغير، رفع يديه إلى السماء شاكرا الله، وقرر أن يقتصد فيما يملك حتى لا يموت عطشا أو جوعا، فهو لا يعرف متى الخلاص وهل هناك بر سيصل إليه أو أي مركب تمر قريبة منه فتراه وتنقذه، فحياته مقدرة بقدر ما

يملك من غذاء، جلس وقرر أن يجدف في اتجاه الموج، فالسير عكس التيار مهلك دائما، نهايته وخيمة - برًا وبحرًا.

رتب نور حياته، فباكو البسكويت يجب أن يكفيه في اليوم مع نصف زجاجة ماء، وعليه أن يحمى نفسه من الشمس حتى لا يصاب بضربة شمس تعجل بنهايته، فصنع من صندوقي البسكويت المياه، ما يشبه غطاء رأس يقيه حرارة الشمس، وترك أمره لله.

مرت الأيام ثقيلة متشابهة، ينتظر الموت في طياتها، وهو والقارب كدميه في موج البحر، يسأل الله ألا يغضب هذا البحر الهائج ويظل هكذا رحيمًا بضيفه، من لاذ به دون أي اختيار، وأن يلفظه إلى الشاطئ أيا كان هذا الشاطئ، نظر إلى ما لديه من ماء وبسكويت فقد قاربا على النفاذ، لقد مرت عليه خمسة أيام فقط، وهو كذلك لا يدري، متى سيصل للبر ولا إلى أين هو ذاهب.

لم يتبق سوى زجاجة ماء واحدة، وباكو ونصف من البسكويت، فعليه أن يكون أكثر بخلا على نفسه، فبعد نفاد ما لديه من ماء وطعام، فإلى الموت طريقه، أخذ يدعو الله، فهو لا يملك سوى الدعاء، وتوضأ من ماء البحر وأخذ يصلي ليكون آخر أعماله الصلاة، صلى في كل اتجاه، ودعا الله بقلب باك، وقد بدا عليه الإعياء والهزال، كان يردد دعوة سيدنا يونس لا حول ولا قوة إلا بالله،

ويقول رحمة الله قادمة لا محالة، ثم يقول والموت أيضا رحمة من مصير مبهم، ثم يتمتم: إنا لله وإنا إليه راجعون.

اليوم هو الثامن، وانتهى ما لديه من ماء وبسكويت، الموت يزحف عليه زحفًا بطيئًا، بدأ الإعياء يزداد، والدعاء يزداد، فقد خارت قواه ولم يستطع أن يمسك بالمظلة الورقية، فثبتها بمكان الجلوس بالمركب ثم نام أسفلها، لم يعد يقوى على الجلوس، فسقط في قاع القارب غير قادر على الحركة، مر عليه الوقت ليتحول إلى شبه جثة هامدة، شبه مغيب، العطش تملكه، والجوع أنهكك، والشمس كادت أن تقضي عليه، فغاب عن الوعى وهو يعبر يومه الثامن.

(٥)

أخيرًا ظهر الشاطئ في اليوم العاشر، وألقى البحر بالقارب على جزيرة منعزلة عن العالم في المحيط.

على الشاطئ كان يقف أحد الصيادين في الخمسين من عمره تقريبًا، ومعه ابنه الشاب، صاح الرجل: - قارب لفظة البحر يا رامي.

فهرع ولده رامي إلى القارب، وجذبه للشاطئ، وكانت المفاجأة أن وجدا به شابًا، فصاح رامي: - به شاب فاقد للوعي، مقبل على الموت.

فصاح الصياد: - أحضره بسرعة لإنقاذه.

أحضر الصياد الماء، وأخذ يبلل شفتي نور بالماء مرات كثيرة، وكان نور محمومًا، وبعد فترة سقاه كمية بسيطة، وطلب من ابنه أن يحمله للمنزل ليطببه، فالمنزل قريب من الشاطئ.

حمل رامي نور إلى البيت، وقامت زوجة الصياد وابنته (ليل) بمداواة نور، وعمل كمادات المياه، وإعطائه أدوية عشبية - وهي التي يعرفونها ويستخدمونها في الجزيرة، فالطب عندهم بالوراثة، الطبيب يعلم أبنائه وبناته ليرثوا المهنة، أما العلاج فبالأعشاب - حتى تنعش

المعدة التي التصقت ببعضها، وتحضير سوائل ساخنة له حتى أفاق مع صباح اليوم التالي، فتح نور عينيه فوجد حوله ناس لا يعرفهم ولا يعرف أين هو ومن جاء به إلى هذا المكان، فنظر إليهم وألقى السلام دون تركيز، فخرج السؤال طبيعيًا باللغة العربية دون قصد فهي لغته، وهو في حالة عدم تركيز وقال: - السلام عليكم.

فجاء الرد باللغة العربية الفصحى، لكنه لم يدرك أنهم يتحدثون العربية فمازال تائها نسبيا: - وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

فجأة أدرك أنهم يتحدثون العربية، وكأنه أفاق من غيبوبته وسأل: - أتتحدثون العربية؟

قال رامي وهو يبتسم: - نعم، كما تتحدث بها أنت أيضا، كيف حالك الآن؟

- أنا بخير الحمد لله، أين أنا؟

ربت رامي على كتفه وقال: - اتقول الحمد لله؟ إذا أنت مسلم مثلنا.

- نعم، الحمد لله على فضله وكرمه.

- أنت ضيفنا، ألقاك البحر إلى جزيرتنا (مملكة مورستان) فلا تتحدث الأن حتى لا تتعب، وعليك أن تعتدل لتتناول الطعام وكفاك سوائل.

- اشكرك يا صديقي على هذا الكرم، أنا اسمي نور خان، غرقت سفينة الشحن التي أعمل عليها، هذا كل شيء، وأنا من مصر، هل تعرفها؟

- لا أعرفها، ولا نعرف أي دولة - ثم تابع ضاحكا - اسمي رامي وأنت أول غريب يصل جزيرتنا في حياتي، وعمري الآن خمسة وعشرون عاما.

تكلم الوالد: - وأنا اسمي آدم، وعمري خمسين عاما، وأيضا أنت أول غريب أراه.

- لماذا أثناء حديثكم العربية تنطقون بعض الكلمات الإنجليزية؟

ضحك الأب آدم وقال: - أحيانا لا تسعفنا العربية فنحن نتحدث بها حبا في القرآن، حديثا فقط ولا نكتبها.

ابتسم نور في سعادة وقال: - هذا جميل، تذكرونني بتونس والجزائر، يتحدثون خليطًا من العربية والفرنسية.

نظرا إليه في تعجب وسألاه: - من تونس والجزائر؟ أصدقاؤك؟

ضحك نور وقال:- إنها دول إسلامية

فأجاب آدم: - نحن لا نعرف إلا السعودية بلد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم اشار إلى ابنته وزوجته - وهذه ابنتي ليل سهرت عليك هي وأمها حتى تم شفاؤك، عمومًا لا تتكلم كثيرًا، وقم للطعام.

نظر نور إلى ليل مبتسمًا من جمالها ولون بشرتها الخمرية وشعرها المرسل الثقيل قائلا: - شكرًا يا ليل، وشكرًا يا سيدتي على تعبكما.

نظرت ليل إلى نور وقد راقها وسامته وبشرته البيضاء، ونظرت إلى عينيه الزرقاوين اللتين أبهرتاها، فالجزيرة كلها لا توجد بها تلك العيون الملونة إلا القطط، وأرسلت له ابتسامة إعجاب.

(٦)

مضى يومان حتى استرد نور عافيته، خلالهما اقترب نور ورامي من بعضهما البعض وأصبحا صديقين، وقص نور عليه واقعة احتراق وغرق السفينة بالتفصيل، ورحلته في القارب، وحدثه عن مصر وجمالها، وأنه سوف يدعوه لزيارة مصر ويتمتع بجمالها وشهامة أهلها، وكان رامي يستمع فقط، ولم يحدثه عن الجزيرة، وترك ذلك لوالده خوفًا من أن يقول شيئا يخيف نور من الجزيرة أو يحطم أماله، فنور كان كل همه أن يعود إلى مصر، وحينما سأل رامي عن كيفية العودة أجابه قائلا: - لا أعرف مصر، ولا أعرف كيف تذهب إليها، لأنى لم أترك الجزيرة قط، عمومًا والدى عنده الإجابة دائمًا.

- هل يوجد هنا واي فاي؟

- ما هذا، أهو طعام؟

بهذه الاجابة أيقن نور أن الموبايل لم يدخل الجزيرة فسأله: - أريد تليفون لأتصل بالشركة.

- لم أسمع عن هذا الاسم قبل، ولا أعرف ماذا يعني.

أيقن نور أن الجزيرة منعزلة عن العالم انعزالا تامًا، فحاول أن يبحث عن أي وسيلة من وسائل التواصل بالعالم فسأله: - ألا يوجد تلفزيون أو راديو؟.

- لا، ولا أدري ما هي هذه الأشياء؟

أحس نور أنه ذهب إلى عصر بعيد جدًا، كأنه سافر عبر عجلة الزمن، أو قل قارب الزمن لأكثر من خمسمائة عام للخلف، فحاول التعرف على آخر ما وصل إليه أهل الجزيرة من تقدم فقال: - هل عندكم كهرباء، لم أر في الغرفة أي لمبات كهربائية.

ابتسم رامي، وكانت المفاجأة أن رامي يعرف الكهرباء، وقال: - يوجد ولكن للأغنياء فقط، من يستطيع شراء وحده الإضاءة التي تعمل بالشمس، تشحن نهارًا وتعمل ليلا ونهارًا، يضعون على سطح البيت لوحًا كبيرًا، وتنزل منه أسلاك يسير فيها النور، فيذهب لهذه اللمبات.

- ومن يصنعها ويركبها؟، هل تصنع هنا؟

- لا، يأتي بها تاجر الجزيرة، لديه مركب يسافر كل ستة أشهر لجلب أشياء كثيرة من أماكن بعيدة، ولدينا بالجزيرة تاجران فقط، هما من يجلبان الأشياء إلى الجزيرة من خارجها، كل منهما يمتلك مركبًا،

ورحلة السفر كل ستة أشهر في مواعيد متتابعة، ولا يسافران معا، لأنهما يخدمان بعضهما البعض، وكل منهما يأتي للآخر بما ينقصه من بضاعة حتى يأتي موعد سفر مركبه.

- وهما طبعا من مورستان.

- لا أعلم، ولكن يقال عنهما أصحاب النجمة.

هز نور رأسه محدثا نفسه أيكون ما في عقلي؟، أتكون نجمة داود ما يقصد؟.

إن كان رامي لا يعرف اسمها، فنور يعرف من أصحاب النجمة، فلا يوجد غيرهم، إنهم لم يتركوا مكانًا إلا وجدوا فيه، حتى الأماكن المنعزلة عن العالم، والتي تعيش فيما يشبه العصر الحجري لم يتركوها، فحيث التجارة والمال تجدهم، ربما حدثي صحيح وربما خطأ.

كانت نتائج السهرة محبطة لنور، فقد أدخلته في نفق مظلم لا عودة منه، وكان رامي يخشى هذه الجلسة، لأنها ستقضي على أمل نور في العودة لبلده، لذلك لم يحدثه عن الجزيرة، وترك هذا لوالده، فهو يمتلك الخبرة، فقد أحب نور وخاف من جرح أحاسيسه، فلم يحب أن يقوم هو بإلباسه الرداء الأسود، وتحدث الوالد آدم مع نور بصراحة

مطلقة:- لن أكذب عليك، ولن أجمل لك الحديث، لأنك مثل ولدي، وكلنا أحببناك، ومن يراك حقيقة يحبك ولا يعرف لِمَ؟.

فردت الزوجة مازحة: - لوسامته، وعيونه الملونة، وهى زرقاء يعني أنه أصبح من قبيلتنا لون البحر.

فضحك الجميع مؤيدين لها، وأكمل آدم في هدوء: - أنت على الجزيرة الآن، وسترى الحقيقة تباعًا وبنفسك، فلا أحب أن أخدعك، أنت أول غريب يأتي لجزيرتنا في حياتي، ربما حدث من قبل، فجزيرتنا منعزلة ولا أحد يخرج منها أو يدخل إليها، لأن الحياة بها صعبة، الكهرباء للأغنياء فقط، وتعمل بالشمس وأجهزتها باهظة الثمن، ولا يوجد لدينا طائرات مثل التي نراها تعبر من فوقنا أو من فوق البحر، ولسنا دولة كبيرة لندخل في خطة خطوط سفن الشحن والنقل فليس لدينا ميناء، فقط مرسى لمركبين فقط يمتلكهما أصحاب النجمة، ولا سيارات مثل التي نسمع عنها، وتحتاج لما يسمى بوقود البنزين الذي لا نعرفه أيضا، ولا التلفزيون أو الراديو أو التليفون، أو كل ما تسأل عنه، حياتنا بدائية، وهذا لا يعنى أنها قبيحة، بالعكس إنها جميلة، كلها (اورجانك) طبيعية، أما عن عودتك، فقد سألت لك وأنت مريض، وعرفت أنه يمكنك استعمال أحد مراكب التجارة التي تجلب لنا احتياجات الجزيرة عن طريق أصحاب النجمة، لكنهم

جشعين جدا، يمكنهم نقلك إلى جزيرة بها طائرات تنقلك إلى حيث تريد، ولكن تكلفة المركب فقط عشرة آلاف شلن، أما تكلفة الطائرة فالتاجر لا يعرف عنها شيء.

تعجب نور وقال: - شلن إنجليزي؟

- الشلن هو عملة جزيرتنا، ومرتب العامل في اليوم خمسة شلنات على الأكثر، أحسبها أنت، الأكل يتكلف كم، والسكن، والملبس، وخلافه، يعنى لن تستطيع ادخار المبلغ المطلوب.

- هذا يعني أنني سأحتاج لأجر عمل أربع سنوات لجمع المبلغ، حقا الطريق مغلق، ويسير في اتجاه واحد فقط، ألا ترى أن المبلغ مبالغ فيه؟.

- نعم، فقد قال أنه سيذهب بك وحدك مدة عشرين يوم، بعد وصوله للجزيرة التي يقصدها للتجارة، وهي نهاية رحلته المعتادة لإحضار البضائع للجزيرة، فقال عشرون يوما لك وحدك، بخلاف ثلاثين يوم قبلها للوصول لجزيرته التي يتجه إليها، يعني يعتبرها رحلة خاصة.

- إذن لا حل سوى الإقامة هنا، ولكن كما تقول، أهل جزيرتكم لم يروا أجانب من قبل، فهل سيقبلونني كضيف؟

- نعم سيقبلونك بسبب وسامتك.

فرد رامي ضاحكا: - خاصة البنات، وقد يغار منك الشباب لأنك ستسرق انتباههن منهم، وهذه مشكلة سنحلها في وقتها وحسب حجمها.

- أنا لا أريد بنات أو غيره، أريد أن أعود لبلدي فقط.

- رتب نفسك على الحياة هنا، ودع الزمن يرتب لك الأمر ربما تضحك الأيام، فأهل جزيرتنا طيبين رغم انقسامهم.

- انقسامهم.. لماذا؟، هذه مشكلة، فالانقسام يعني حربًا أهلية.

- بالفعل، أنت تفكر جيدا، وسأحكي لك القصة، جزيرتنا عبارة عن قبيلتين فقط، قبيلة الزرق وسميت بهذا اللون نسبة إلى لون البحر، وكل أفرادها يعملون بالصيد وما يتعلق به من صناعة قوارب وأدوات الصيد، ومطاعم للسمك، وأنواع الزيوت السمكية، وقبيلة الخضر، وأهلها يعملون بالزراعة وكل ما يتعلق بها، وسميت الخضر نسبة للون الزراعات.

- الجزيرة كلها قبيلتان فقط؟ هل عدد السكان قليل؟

- لا، إنها تقترب من المائة ألف مواطن.

- والتاجران أصحاب النجمة؟

- أحضر والد الملك الحالي أباءهما للجزيرة، كخبراء للتطوير في الصناعة والزراعة، فبدلا من أن ينشغلوا ببناء المصانع التي تنتج للناس احتياجاتهم، تحدثوا معه عن مشاكل الصناعة ومشاكل الماكينات والمواد التي قد لا توجد في الجزيرة، وإنه سيحتاج لعملة صعبة أو ذهب لاستيرادها، وأن الأسهل والمناسب أن تستورد الجزيرة المنتجات جاهزة بلا مشاكل، نشتري ما نريد والذي يروقنا، أفضل من تحمل منتجات قد تتلف في المصانع عندنا، ونضطر لاستخدامها تالفة.

- وبالطبع وافق الملك.

- نعم، وكما ترى الآن، فقد مات التاجران، وورثهما أبناءهما، والحال كما هو، وكذلك مات الملك، وتولى ابنه (كاي) ملكنا الحالي بدلا من أخيه زين.

- نصب ابنه ملكا بدل من أخيه، ما المقصود؟

- يحكي لك رامي تلك القصة فيما بعد، إنه الصراع الأبدي.

- هل أحكي له عن مشاكل القبيلتين؟

- لقبيلتان ضد بعضهما، إذا قالت قبيلة يمين، تقول الأخرى..

فرد نور في سرعة: - تقول يسار.

ضحك الجميع وقال آدم: - انت فهمتها بذكائك، ابدأ حياتك واعمل مع رامي.

- في الصيد؟

- لا، أنا أعمل في (كوفي شوب) ليلا، وتكلمت مع صاحبه من أجلك، ووافق.

- أنت في احتياج للمال الآن، حتى تحصل على راتبك، هل أنت في حاجة لقاربك الذي ألقى بك على الشاطئ؟

- لا، خذه، فعودتي تحتاج لمعجزة وليس لهذا القارب.

- لم أقصد ذلك، فعندي قاربي الخاص، ولكني سأبيعه لك، فأنت محتاج لثمنه بدل من وقوفه هكذا.

- أشكركم على كرمكم وما قدمتموه لي، وستكونون أسرتي على هذه الجزيرة.

- نحن أسرتك، وستبيت مع رامي في غرفته، فلا داعي لإيجار غرفة، فوفر ثمنها لتكاليف رحلة عودتك.

- أشكرك يا والدي، ولكنني سأبيت إلى أن أجد مسكنا، ولكني أريد أن أعرف لماذا القبيلتين في عداء؟

ضحك آدم وقال: - أنت تريد معرفة كل شيء، كانت الجزيرة مهجورة لا يوجد بها حياة، كان هذا منذ أكثر من خمسمائة عام، وصلها رجل بقارب مثلك غرقت سفينة الركاب التي كان عليها، وللصدفة أيضا كان اسمه نور.

- هل كان مسلما؟ ومن أين جاء؟

- نعم، فنحن كلنا مسلمون كما قلت لك، وهو من ماليزيا تقريبا، ويتحدث الإنجليزية والعربية، لأنه كان يقرأ القرآن جيدا كما قالوا.

- العربية هي لغتي الأولى.

- إذا أنت عربي.

- أتعرف العرب؟

- نعم يا نور، فالنبي عربي من جزيرة العرب، وهي السعودية الآن، لكن نعرفها هي فقط كما قلت من قبل، لأن مسجد الرسول بها وكذلك الكعبة، وإن كنا لم نذهب إليها قط، فلا وسيلة لدينا.

- كيف تتعلمون العربية؟

- نعلمها للأولاد في المسجد محادثة وليس كتابة، أما القراءة والكتابة فقليلة، وباللغة الإنجليزية فقط، وهناك من يجيدها مثل رامي، أما العربية فلا، رغم أننا نقرأ القرآن جيدا.

ضحك الجميع وشكر الله على هذه الهبة، حيث يقرأ القرآن ولا يستطيع قراءة أي كتب أخرى بالعربية، وأكمل العم آدم:

- وعاش نور بالجزيرة وحيدا مدة سنة أو أكثر، إلى أن جاء قاربان يحملان عائلتين، نجيا أيضا من الغرق، عائلة كلها صيادين أب وأم وثلاثة أولاد بزوجاتهم وأولادهم، كانوا شبه مهاجرين إلى دولة أخرى، وكان عملهم الصيد وهؤلاء أجدادي الزرق، وهم من المالديف وأيضا مسلمون ويتحدثون العربية الفصيحة ولكن لا يكتبونها أيضا، ويجيدون الإنجليزية حديثا وكتابة، أما القارب الآخر نفس القصة وكانوا سبعة أولاد وزوجاتهم وأولادهم ويعملون بالزراعة، فالفلاحون يحبون الإنجاب لحاجة الأرض إليهم، قالوا إنهم من إندونيسيا، ومثلهم مثل ركاب القارب الأول في كل شيء، العربية حديثا، والإنجليزية حديثا وكتابة وأيضا مسلمون، استقبلهم نور، وتزوج من الزرق وأيضا من الخضر لتوطيد علاقته بالجانبين، فقد كان جاوز الثلاثين سنة، وأطلق على الجزيرة اسمه (نورستان) –

أرض نور - ومع الوقت ظهرت مشكلة جزيرتنا في لعبة تغيير الوزارة وحرب القبيلتين، ولم تكن تلك المشكلة الوحيدة، بل كان كل ملك يغير اسم الجزيرة باسمه هو، حتى تولى الحكم أحد أحفاد الملك نور وكان اسمه مور، فمنذ ذلك الوقت وأصبح اسم الجزيرة مورستان.

ضحك نور من اسم الجزيرة، وقال: - هذا الاسم يطلق على مصحة الأمراض النفسية أي مكان علاج المجانين.

- حقا، لفظ مضحك ولكنه مواكب لأحداث الجزيرة، فقد أصبحت مثل مصحة للمجانين.

- وما هي هذه القصة أيضا.

- يقصها عليك رامي فهي تخص السياسة، وأنا لا أحب السياسة، فالحياة بدونها أجمل.

- وهل الملك كاي متزوج من القبيلتين الآن كجده؟

- لا إنه لديه جواري كثيرة، فهو الملك.

ضحك الجميع وانتهت السهرة وقاموا للنوم.

(٧)

لم يمهل نور صديقه رامي، ولم يغمض له جفن قبل أن يعرف باقي الحكاية، ما هي مشكلة الوزارة بالجزيرة فربما تؤثر على عمله وهو يعرف السياسة وألاعيبها، ومن يقف في طريقها أو لا ينفذ الأوامر، فقال له رامي: - باختصار شديد، الملك له وزير واحد يدير أمر الجزيرة، وكل قبيلة تريد أن يكون الوزير منها، فكان الحل أن بكل سنة يتم تغير الوزير بالتتابع، وزير سنوي من قبيلة، ويليه من القبيلة الثانية وزير في العام التالي، أما هذا العام فالوزير من قبيلة الزرق - نحن - ويسمى - بلو ستار - وأمامه شهر فقط في منصبه.

- ستار!! اسمه ستار؟

- لا، ستار اختصار مينيستر - أي وزير - فنقول بلو ستار، أو جرين ستار.

- ولم لا تقولوا وزير؟ فأنتم تتحدثون العربية.

- ولكن الكتابة والتسجيل والقوانين بالإنجليزية، المهم أن كل وزير يحاول الإغداق على قبيلته، فالضرائب تقل أو تلغى عنهم فلا غرامات، ولا عقوبات، وهذه العقوبات التي يتم التغاضي عنها ما

دون القتل، لكنه يتحامل على القبيلة الأخرى، فهي التي تدفع وتتحمل كل ما يخص الجزيرة.

- وأين العدل؟.

- أي عدل يا نور؟، إذا حدث شجار بين القبيلتين، فصاحب الحق هو من بيده الوزارة.

- والملك؟

- الملك منشغل بحريمه وجواريه، فهو يريد إنجاب الولد، ورغم كل ما لديه من حريم فنسله كلهن بنات، وهذا شغله الشاغل.

- وما المشكلة؟ تتولى الحكم أكبر بناته، وتكون هي الملكة.

- قانون الأسرة المالكة الذي وضعة الملك نور الكبير يقضي أنه لابد أن يكون الملك ذكرا، وللملك كاي عم هو الأمير زين، وكان هو الأحق بالحكم، لكن أخيه الملك السابق جعل ابنه كاي وليًّا للعهد بدل منه، وأصبح كاي هو الملك الحالي بدلا من العم زين، وهذا العم لديه ولد هو الأمير جاك وسيكون هو الملك القادم، لذلك ملكنا يريد الولد.

- هذا الأمر أصبح سهلا الآن، ففي كل العالم وعندنا في مصر يتم ذلك في عيادات صغيرة.

- معقول!! كيف هذا؟ إنها معجزة.

- لا، إنه الطب، أي العلم، وصاحب النجمة يعرف ذلك بالتأكيد، فلماذا لا يساعده؟ فهو يسافر كثيرا ويعرف أكثر.

- هو من يأتيه بالعلاج كما يدعي، ولكن بلا فائدة.

- إذا فهو صديق عم الملك - ضاحكا - وربما هذا العلاج الذي يعطيه للملك هو ما منع إنجاب الولد، أي يفعل عكس المطلوب.

- نعم، هما صديقان حميمان جدا، كيف عرفت؟! وربما توقعك صحيح.

- إنها مسألة واضحة، لم يبلغه بهذا التقدم العلمي، ليصل الحكم لأولاد العم زين صديقه، وماذا يعمل العم؟ بالتأكيد يتاجر معهما..

- أنت خطير يا نور، نعم.. هو كذلك، والعم هذا هو حكيم الجزيرة، تذهب إليه المشاكل الكبيرة لحلها.

ضحك نور وقال: - ويشترك في حلها أصحاب النجمة، ويسيرون الجزيرة على مرادهم، فهم أصدقاء الحكيم.

- هل نبلغ الملك بهذه العملية لإنجاب الولد؟

- إذا تحكم علينا بالقتل.

- لماذا؟ إن الملك سيسعده ذلك..

- ليس الملك من سيقتلنا، إنه زين الذي يريد الحكم لابنه، وبتخطيط من أصحاب النجمة.

- معقول!، لكن لماذا لا؟، صاحب النجمة هو من يتحكم بالبلد، والوزير لابد وأن يصادقه ليكمل عامه.

- نكمل نومنا الآن لنبدأ العمل غدا، ويتعلم ما تريد في الأيام المقبلة.

لم تغمض عينا نور، فقد دار بفكره ما سمعه من الأب أدم، لقد أصبح سجين الجزيرة، فالعودة مستحيلة، لا مراكب لا طائرات، والرحلة الوحيدة المتاحة من خلال مركب أصحاب النجمة، تحتاج عشرة آلاف شلن، ثمن الخطوة الأولى فقط، ولا يعرف المطلوب بعد ذلك، ستوصله المركب إلى جزيرة أخرى مجهولة أيضا، لا يعرف عنها شيء، كم سعر الطائرة وسعر المعيشة بها، بل وإلى أين تصل طائراتهم، هل تصل مصر أم لا، إنه المجهول، فعليه أن يعمل ويكد من أجل العيش، ثم يرى إلى أين سيصل، هل سيوفر الأموال؟، هل يستطيع الادخار للعودة؟، إنه طريق طويل مجهول محفوف بالمخاطر، وغدا أول خطوة فيه.

(٨)

انطلق نور مع رامي للبحث عن فرصة عمل في الكافيه الذي يعمل به، داعيا الله أن ينالها، لتبدأ حياته الجديدة، كانت أول مرة يسير نور في الجزيرة، فقد كان مريضا وطريح الفراش، ولم ير سوى ساحل الجزيرة من بيت رامي، وهو مكان عملهم كصيادين، ولم يكن يتوقع أن تكون الجزيرة بهذا الجمال، ما كل هذا الجمال الذي يراه؟، لو وصفه أحد له لما صدقه، إنها جنة الله في الأرض، ما هذه الخضرة، الأرض كلها عبارة عن سجادة خضراء، كل شيء أخضر، لا يرى تراب أو رمال، إنها الجمال ذاته، يعلن قدرة الخالق، فقال: إذا كانت هذه هي الدنيا فكيف تكون الجنة، سبحانك يا رب، الأشجار تصطف على كتفي الطريق، وتتشابك فروعها مكونة مظلة خضراء تحجب الشمس عن الطريق، وتجعل الشوارع في حالة تكيف طبيعي من صنع الله، فكان يشعر وهو يسير أنه يرتشف الجمال بكل حواسه رشفا.

وصلا إلى الكافيه، كان على بعد حوالى كيلومتر من بيت رامي، عبارة عن غرفتين، لا تزيد مساحته عن خمسة أمتار مربعة، أسفل بيت من طابقين، وهو بيت مالك الكافيه، تكسوه خضرة شجرة اللبلاب، التي تغطي كل الجدران وكأنه مصنوع من الخضرة، وأمام

باب الكافيه حديقة كبيرة مليئة بالكراسي والترابيزات المصنوعة من جريد النخيل، ومحاطة بسور أخضر من النباتات، والأرض خضراء وكأنها أرض لملاعب الكرة، كان الوقت يقترب من العصر، واختار رامي هذا الوقت حتى يكون صاحب الكافيه قد استيقظ من النوم ونزل إليه.

دخل رامي ونور على (مستر جاد) صاحب الكافيه، وكان يجلس في الحديقة الخارجية وبها عدد لا بأس به من الزبائن، فلم يكن اليوم بدأ بعد، ألقيا التحية وجلسا إلى جاد، وشد انتباهه وسامه نور الساطعة فنظر إليه متسائلا: - أنت قطعا الغريب.

فأجاب رامي: - نعم طرح بحر، غرق مركبهم، ووصل بقارب النجاة، وانقذته جزيرتنا من الموت، ويريد عمل له.

ابتسم جاد وقال: - أهكذا تكون جزيرتنا انقذته؟، قل ابتلعته، سلمه العمل، فشكله وسيم اجعله (ويتر)، سيجلب الزبائن إلينا خاصة البنات.

رنت ضحكة عالية من جاد وكذلك رامي وأيضا نور الذي قال: - أنا أجيد أشياء كثيرة، الحسابات والكمبيوتر.

- الحسابات أقوم بها أنا، ولكن سنرى ذلك لاحقا، أما الكمبيوتر فلا أعرفه.

- نبدأ من اليوم.

- نبدأ.

- كم الأجر؟

- خمس شلنات.

تدخل رامي في الحديث بغرض رفع قيمة الأجر فقال: - في الحي الأخضر يوجد كافيه قد عرض عليه سبع شلنات لوسامته، لكني أحضرته لك فأنت من قبيلتي ولك الأولوية.

- إذن نجعلها ستة.

- قلت لك سبعة.

- بل ستة فقط، ولو أثبت جدارة سأزيده.

- اتفقنا، هيا يا نور.

استلم نور العمل، ولاقى ترحيبا وقبولا من الرواد، فتحرك بين الزبائن في خفة يوزع المشروبات والابتسامات عليهم، وحصد إعجاب الجميع خاصة البنات، فازدحم الكافيه بهن يوما بعد يوم، حتى أصبح المكان يعج بالرواد، وطار خبر نور إلى محيط كبير من الجزيرة خاصة القريب من الكافيه، فازدحم بالبنات، وقل عدد الرواد في كافيهات مثيلة بالمنطقة، فكانوا لأول مرة يروا عيونا ملونة وبشرة بيضاء بهذه الوسامة، وكذلك الشعر الأسود الناعم الذي يتراقص مع حركته بالمشروبات حينما ينزل على جبهته فيثير البنات، تذكر نور أن كل من راه على السفينة كان يظنه أوروبيا، فكان يبتسم ويقول أنا مصري وهذا شيء عادي عندنا، وإن كانت نسبته غير كبيرة لكنها موجودة، أما هنا في هذه الجزيرة فماذا يقول لهم؟، فهم منعزلون عن العالم ولا يعرفون أي دولة أخرى، إنهم يعيشون في القرن الخامس الميلادي رغم أننا في القرن العشرين، فهو وإن كان قد تعود على هذا الإعجاب، لكن ليس بهذه الطريقة، فكأنه ذهب إلى أدغال أفريقيا، ومن بالجزيرة كانت بشرتهم نحاسية مائلة للسمرة، والشعر الناعم مثل الهنود والفلبين، وإن كانوا أقل جمالا، أما نساء الجزيرة فكن جميلات، ذوي بشرة خمرية.

أصبح لنور أصدقاء كثيرين من الجنسين، وكانت البنات أكثرهم، لكنه لم يكن سعيدا بالعمل، فمعظم المشروبات كانت من الخمور، فهو يخاف الله، ذلك بخلاف موائد القمار، وإن كانت بدائية، كأوراق الكوتشينة، والدومينو، فكان يحدث نفسه أن العمرة التي أداها، سيمحو ثوابها هذا العمل، ولكن الجزيرة كلها على نفس المنوال، كأنه يعيش في قريش قبل الإسلام، رغم إسلامهم.

باع العم آدم القارب الخاص بنور بمبلغ مائة شلن، وأعطاها لنور وأخبره أن الناس لا تملك أموالا، ومن اشتراه هو صاحب النجمة، فهو الوحيد الذي يملك المال في الجزيرة، ففيه من يبيع ويشترى.

مرت الأيام ووجد نور أنه لن يستطيع ادخار أي أموال، ولولا أنه يبيت مع رامي في غرفته لنام في الشارع، فالأجر لا يكفي، وحاول أن يساهم مع رامي بأي مبلغ مقابل المبيت والطعام وإلا ترك المكان، وبعد ضغط ومحاولات منه وافق رامي بصعوبة، لأن نتيجة الرفض ستكون ترك نور للبيت، ووافق الوالد آدم بصعوبة، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة لحفظ ماء الوجه لنور.

(٩)

مرت الأيام وأتم نور شهره الأول بالجزيرة، وكما كان يسميها السجن الجميل، كون صداقات كثيرة من الرواد، وكان حذرا جدا في علاقته مع البنات، فهو غريب ولا يعرف عادات الجزيرة في التعامل مع النساء، ويخاف أن تنتهي حياته بسبب فتاة قد يغار عليها حبيبها أو أهلها أو أحد المعجبين بها، لذلك كان حواره مع الفتيات في أضيق الحدود، فكان لا يبدأ هو أبدا.

بدأ يستفسر عن أحوال الجزيرة وقوانينها، حتى لا يصطدم بأي شيء قد يفعله بحسن نية أو عدم معرفة، وأخذ يحسب لكل شيء حسابه، وأصبح صديقا لصاحب الكافيه (مستر جاد) الذي قربه منه كثيرا، فبسبب وجوده اكتظ الكافيه بالرواد، وقد زاد راتبه ليصبح سبعة شلنات، وكذلك أعجبت به زوجه جاد وابنته، وأصبحتا صديقتيه، وكثيرا ما تناولوا الطعام والشراب معا، وهذا ما جعل بعض عمال الكافيه يحقدون عليه ويضمرون له العداء، وتمنوا رحيله عن الكافيه، وإن رحل عن الجزيرة كلها يكون أفضل، كذلك كان شعور بعض أصدقاء الفتيات اللاتي أعجبن به واقتربن منه، رغم أنه بريء من كل هذا، ولم يحاول مجرد محاولة التقرب إلى أي فتاة.

بذكائه المعتاد تجول بالجزيرة، بمفرده تارة، ومع رامي تارة أخرى، وخرج مع أصدقاء كثر من رواد الكافيه، ليرى كيف تسير الأمور حتى يعرف الجزيرة جيدا، كان يرغب في زيارة السوق ليرى ماذا يبيعون ويشترون، ليحدد مدى مستوى الناس ومدى تعليمهم وثقافتهم، فقدر الذكاء يحدد من السوق، وطريقة البيع والشراء، أيقن أن الجزيرة متأخرة أكثر من خمسة قرون على أقل تقدير، وأنه لا مخرج له منها، فلم يرى مركبا كبيرا يستطيع عبور المحيط، إنهما مركبين شراعيين متوسطين فقط لأصحاب النجمة، فكان يقول يفعل الله الخير إن شاء الله، ووجد أن العلاقة بين الولد والبنت في الجزيرة يغلب عليها التحرر نسبيا، فقال جملته التي أعتاد عليها (ابعد عن الشر وغني له).

ساقته قدماه فب جولاته إلى شارع لم يكن يتوقعه، كان يسير هو ورامي، كان الشارع مليء بالمواخير، والملاهي الليلية، فالبنات في الشارع شبه عرايا يحاولن جذب الزبائن إلى الداخل بالقوة، خرج من الشارع بمعجزة وسط ضحكات رامي، وكانت المفاجأة أن وجد من يناديه ويلحق به وهو يقول: - أنا مدير نايت كلوب هنا، وأريدك أن تعمل معنا، فأنت ستكون مصدر لجلب الفتيات والزبائن، وسأجعل راتبك عشرين شلنا في اليوم.

كانت المفاجأة أن رامي وجد نور يهرع خارج الشارع جريا، فجرى وراءه ليحاول الالحاق به، وهو يضحك.

أمام باب الكافيه وقفت عربة ذات كابينة مفضضة، ودائرها العلوى من الزجاج، يجرها حصانين، وفتح السائق الباب فنزلت فتاة عشرينية جميلة، خمرية البشرة، ذات شعر كالليل، ثقيل حريري، فترجلت إلى باب الكافيه، ما أن راها مستر جاد صاحب الكافية حتى هرع لاستقبالها صائحا: - مس نانا، مرحبا..

ترجلت نانا في هدوء وعيناها تبحثان عن ذلك الشاب الذي ذاع صيته، فجلست إلى أفضل ترابيزة بالكافيه، وبذكائه أيقن جاد أن سبب مجيئ الفتاة هو انتشار خبر نور ووسامته بلا شك، فنادى بسرعة على نور ليلبي طلب ابنة صاحب النجمة، أغنى رجل بالجزيرة بعد الملك وعمه زين، لتملي عينيها منه عن قرب.

أقبل نور مسرعا، فالذي ناداه هو صاحب الكافيه، فاقترب منه وقال: - انظر ما تطلبه مس نانا.

نظر إليها نور وسألها: - تحت أمرك مس نانا.

كانت تنظر إليه غير مصدقة ما تراه، إنه وسيم جدا، فهي لم تترك الجزيرة ولم تر غير أهلها، ولكن هذا الجمال جديد عليها، جمال

ساحر أخاذ، لاحظ جاد ذلك وصدق حدسه، فابتسم لنور وترك المكان، لكن نور لم يلحظ العربة الخاصة بنانا والتي تقف أمام الكافية، فلم يكن يعرفها بعد، ولكن مال عليه جاد قائلا: - إنها ابنة أغنى رجل في الجزيرة، صاحب النجمة.

رنت ضحكة خليعة أتية من فتاة على ترابيزة قريبة، لتعلن كشفها سبب مجيئ نانا، وأن شرودها بسبب جمال الفتى الذي أفقدها صوابها، نظر نور للفتاة فلمح السلسلة التي تتدلى من عنقها، إنها فعلا نجمة داود، فعرف ما يعنيه جاد من كونها ابنة أغنى رجل بالجزيرة، وهو من اشترى قاربه، وهو المتحكم في السوق كعادة أصحاب النجمة، وصدق حدسه حينما حدثه العم آدم عن أصحاب النجمة في الجزيرة.

أيقظها صوت نور من أكل عينيها له، وتركيز بصرها لوجهه فقال: - ماذا أحضر لك من المشروبات؟

- جاد يعرف مشروبي، وهو سيحضره بنفسه، وأنت اجلس هنا بجواري.

أسقط في يده، ماذا تقول الفتاة؟، وماذا تريد منه؟، صاحب الكافيه يحمل الطلبات وأنا أجالسها؟، نعم، هي صاحبة نفوذ لكنها مجنونة، أيقظته من شروده، حينما حركت يدها وهي تشير إلى جاد، وتناديه:

- أحضر المشروب الخاص بي يا جاد.

وجاءه صوت جاد: - أمرك نانا.

طلبت منه الجلوس للحديث، فلم يجد بدا من ذلك، فلو رفض ربما تأمر جاد برفده من العمل، جلس ونفذ الأمر وخلال ثوان كان جاد يحمل بنفسه الطلبات، ومن كرمه لم ينس أن يحضر مشروب نور المفضل وهو الشاي، فالفتاة تريد الجلوس معه والتمتع برؤيته، فأتى به ربما خوفا أن تسأله نانا أين مشروب نور فيضطر لإحضاره منفردا، وقف نور حينما وجد جاد يضع المشروبات أمامه احتراما، فابتسم جاد وغمز له بعينه وهو ينصرف قائلا: - تمتع يا نور.

ضحكت نانا من تصرف جاد ثم نظرت إلى نور وسألته: - من أي مكان أنت؟

- مصر، هل تعرفين مصر؟

- لا، وهل كلكم هناك بهذه الوسامة.

ابتسم نور من سؤالها وتذكر مصر وجوها، فرد مازحا: - أنت ذكرتني بمصر وجمالها، فعندنا بمصر نجم جميل ذو وسامة عالية، ومن أجل وسامته أعدوا له أغنية خاصة اسمها (يا واد يا تقيل) وهذا ما يحدث معي الآن، فأنا في جزيرتكم الولد التقيل.

- انت تنظر للسلسلة، هل تعجبك؟، أتريدها؟، هل تعرف هذه النجمة؟

- شكرا، لا أريدها، إنها مجرد نجمة شكلها جميل.

- ماذا كانت صنعتك على السفينة؟

- أنا محاسب، أجيد الحسابات والكمبيوتر، هل تعرفين الكمبيوتر؟

- نعم أعرفه، فوالدي لديه جهاز، وكذلك عمي أيضا، يكتبون عليه كل حساباتهما.

- هل أنت تجيدين التعامل عليه؟

- لا، إنه للعمل، وسوف أخبر والدي أنك تجيد العمل عليه، ربما يحتاجك.

دار بينهما حديث طويل، وابتسامات كثيرة، واضطر نور لمجاراتها حتى لا تكون سببا في نهاية عمله بالكافيه، فقامت ووضعت بيده عشرين شلنا دفعة واحدة كمكافئة، مما زاد حقد زملائه عليه، حتى جاد غضب ما فعلته الفتاة معه، فقد حطت من شأنه، بل زادت على ذلك أن منحت نور المال.

(١٠)

تركت واقعة الفتاة نانا أثرا سيئا على جاد، لم يكن هذا الأثر بسبب انه قد أحضر لها طلبها بنفسه، فهو معتاد منها على ذلك، فهي ابنة جو صاحب النجمة ذو المركز القوي بالجزيرة، لكن بسبب كونها جعلته يُخَدِم نور وهو يعمل عنده، هو يعرف أن الشاب ليس له أي ذنب في ذلك، وكان محرجا جدا، بل وقف خجلاً حينما أحضر المشروبات إليهما، لكن الفتاة كسرته أمام الجميع وخاصة زوجته، لذلك كره وجود نور، لكن لو طرده ربما يغضب نانا، وربما تستصدر أمراً بغلق الكافيه، ثم إن طرده سيغضب زوجته أيضا، هو يعلم أنها تحبه مثل كل النساء، لكن الفتى نظيف ومحترم، ويعلم أنه بطرده سيخسر الزبائن، لكن ذلك أفضل له من أن يخسر نفسه، فالعمال يتهامسون عليه، ويبتسمون شماتة فيه، وزوجته تقترب من الفتى أكثر، وهو لا يعلم ماذا يحدث غدا، فلابد من تدبير محكم.

كان الوقت قارب منتصف الليل، والكافيه مزدحم بالزبائن، فتبرع جاد بوجبة طعام للعاملين من مطعم مجاور له، فاليوم كان موفقا بالعمل والعائد جيد والعمال أنهكهم التعب، فجلس العمال فور وصول الطعام، ووزعته زوجته، وتعمد جاد أن توزع زوجته الطعام بنفسها، ليكون بعيد عما سيحدث، وجلس الجميع لتناول الطعام، وقد منحهم جاد

راحة لنصف ساعة، وفجأة صاحت زوجة جاد: - يا جاد، لقد فقدت سواري الذهبي، لقد كان في يدي الآن.

قام جاد منزعجا وصاح: - كيف هذا؟، ابحثي عنه جيدا.

- لقد كان في يدي قبل نزولي.

- إذن لنبحث عنه، أين كنت تجلسين؟

- هنا، أساعد العمال، وأستلم المال.

- إذن نفتش العمال.

وقف العمال وأخذ جاد يفتشهم، ولكنه لم يجد شيئا، فقال: - لا يوجد شيء مع أحد منهم.

- لكني فقدته هنا.

- آه.. ربما أخفاه أحدهم داخل الطعام، فلنفتش الطعام.

وبعد التفتيش الدقيق وجد السوار في طعام نور، وسط ذهول الجميع، حتى الزبائن أصابتهم الدهشة ورفضوا تصديق هذه الحيلة، فصاح نور: - أنا لست لصا، ولم أبدأ الأكل بعد، ولم ألمس الطعام، فالطعام كما هو مغلقا.

وإذا بالشرطة تحضر فجأة، دون إبلاغها، إذن من أحضرها؟، الجميع ينظر في استنكار، من أبلغهم؟ وارتسمت على الوجوه ابتسامة السخرية، فمن رتب هذه القصة المحبوكة؟، ولكن لإتمام الحبكة تحدث رجل الشرطة الذي دبر مع جاد مقابل المال فقال: - ما هذا؟، هل هناك لص؟،هل أمسكتم به؟

ثم تقدم الشرطي نحو نور وأكمل قوله: - إنه غريب، هل يعمل عندك غرباء يا جاد؟، ولماذا لم تبلغنا عنه؟، هل سرقك؟

- وجدنا معه سوار زوجتي.

نظر الشرطي لنور وقال: - حظك سيئ، كنا نمر بالمصادفة، وسنعود بصيد ثمين.

أيقنت زوجة جاد الحيلة التي تمت فقالت: - حقا إنها مصادفة دقيقة يا جاد.

فصاح رجل الشرطة عندما وجد الأمر سينكشف: - هيا هيا.

وتم اقتياد نور إلى مقر الشرطة لحبسه.

ما إن خرج رجال الشرطة بنور حتى فرغ الكافيه تماما من الرواد، فقد تركوا الكافيه لصاحبه، وسط ذهول جاد، لم يكن متوقعا لرد الفعل بهذا الشكل السريع، ونظرت زوجته له وسألته: - لماذا؟

- أنا لم أفعل شيئا، إنه لص، وأنت من وزعت الطعام، ولم ألمسه بيدي.

ظهر الغضب على العاملين، وكل قال لنفسه، من السهل على جاد أن يفعل بنا أيضا مثلما فعل بنور، لقد ضحى بمن يجلب له الرواد، فماذا يفعل بنا نحن؟، لن نحتاج منه لخطة، ولكن فقط لكلمة واحدة وهي: انصرفوا، فمال كل منهم إلى الأخر وهم يقولون: - لا أمان معه.

تحدث العمال مع رامي ليروا ماذا سيفعلون لإنقاذ نور، فهل يذهبون ويشهدون أنه لم يفعل شيئا؟، وهل هذا يكفي لتبرئته؟، ثم تحدث أحدهم ليذكرهم بشيء هام غاب عن تفكيرهم، فسألوه مستفسرين:

- غدا بداية تغيير الوزير، والوزير القادم - جرين ستار - وهذا يأخذ أسبوعا كاملا، وخلال هذا الأسبوع لا يوجد من يصدر الأوامر، لأنه لا يوجد وزير، وسننتظر تعين رؤساء الشرطة الجدد من الخضر، يعنى أسبوعا في السجن بلا تحقيق أو إطلاق سراح نور، أسقط في يد الجميع، ليرد رامي: - إنه تدبير شيطاني محكم.

وفجأة جاءهم صوت مشاجرة بين جاد وزوجته في صراخ متبادل: - سأذهب إلى الشرطة وأعترف أنك من دسست السوار له.

- سوف أقتلك.

- سأقول أنا التي وضعته كنوع من المزاح.

- لو حدث هذا لا تعودي هنا، وسننفصل

- أنت ظالم يا جاد، كان يكفيك فصله، لم كل هذا؟

تأكد الجميع من أن جاد هو من حاك المكيدة، وانصرفوا.

(١١)

دفع الشرطي نور بقوة داخل غرفة شبه مظلمة، مليئة بالبشر، جثث متراصة، أخذ نور ينقل أقدامه بحذر بينهم إلى أن وجد مكانا يجلس به، راحوا يتفحصونه لكن الغرفة المظلمة جعلتهم لا يرونه، فلم يتبينه أحد، فالوقت متأخر، لقد جاء إليهم بعد منتصف الليل، جلس وأسند ظهره للحائط، وأخذ يناجي ربه حتى راح في النوم.

أستيقظ نور على صوت جلبة كبيرة وهرج ومرج بالغرفة، وجد اثنين من العساكر يقفان بباب الغرفة، وبيد كل منهما عصا غليظة، والمساجين يخرجون فرحين ومهللين، فقام متجها نحو الباب ليخرج مثلهم، لكن الجنود دفعوه بقوة سقط على إثرها وسط الغرفة، وأغلق الباب، نظر حوله، فوجد رجلا في العقد الرابع لم يخرج مثله، نظر إليه نور، فوجد البسمة ترتسم على شفتيه، وكأن شيئا لم يحدث، فسأله نور: - لماذا لم تخرج معهم؟

- مرحبا أيها الغريب، لماذا لم تخرج أنت؟

- أنا غريب، وجئت بالأمس فقط.

- وأنا غريب أيضا.

- أنت لست من الجزيرة مثلي.

- أنا من الجزيرة، من خرجوا الآن هم الخضر فقط.

- والسبب؟

- أنت غريب لا تعرف، فاليوم هو اليوم الأول للوزير الأخضر - جرين ستار - لذلك تم الإفراج عن كل المساجين الخضر، وأنا من الزرق.

- أنت الوحيد الأزرق، ولم سجنت أصلا في عهد الزرق؟

- إنها قصة طويلة، ولدينا الوقت فلا نملك غيره هنا، وسوف أقص عليك الحكاية، ولكن لماذا سجنت أنت.

- مكيدة يا سيدي.

ضحك الرجل وقال: - سجنك حسنك، الغيرة هي التي سجنتك.

- نعم، كيف عرفت؟

- إنها الحياة، وسيغار منك الرجال لميل النساء لك، فالجمال مشاكله أكثر من فوائده.

- لم أخطئ في حق أحد، ولم أتعد حدودي، ولم استغل ميل النساء لي.

- لا تغضب، حسنك هو أيضا من سيخرجك من هنا، رجل يدخلك السجن، وامرأة تخرجك منه، وسترى..

ضحك نور وأيضا ضحك الرجل، وسأله: - ما اسمك؟

- نور، وأنت؟

- نينو.

فتح باب الزنزانة، دخل العسكري وبيده طعام، وصاح: - نور، هذا الطعام لك من رامي صديقك.

دخل رامي مسرعا، فصاح به العسكري ليخرج، فوضع نقودا في يده ليتركه قائلا: - دقيقة واحدة فقط.

أغلق العسكري الباب عليهم من الخارج، فقال نور: - ماذا ستفعل كي أخرج من هنا؟

- ستخرج بعد تغير الوزير، هي مجرد أيام قليلة.

نظر رامي إلى نينو الجالس بالغرفة، ثم همس في أذن نور: - خذ حذرك، نينو هذا مجنون.

- انه أعقل من بالجزيرة.

- خذ حذرك.

- اذهب إلى نانا ابنه جو صاحب النجمة، هي من تستطيع إخراجي.

ابتسم نينو وصاح: - أأنت وصلت لأصحاب النجمة؟، أنت سريع الخطى يا فتى.

- اذهب لنانا يا رامي، لا تنتظر مجيئها، اذهب أنت إليها.

- سأذهب، لا تخف.

فتح الباب وصاح العسكري: - اخرج يا فتى.

خرج رامي وأغلق الباب، فتقدم نور من نينو وفرش الطعام الذي جاء به رامي، واشار لنينو بالطعام: - هيا يا عم نينو نقتسم الطعام، كما نقتسم الغرفة.

- غدا تمتلئ الغرفة بالزرق، وسوف نرص فيها مثل الطوب، لكن الطعام لك أنت.

- إنه لنا، وليس لي، نقتسم الطعام فنكون إخوة.

- حكمة جميلة، وهو كذلك، سأكل معك لنكون إخوة، وليس للجوع.

- ليكن، تفضل.

جلسا يأكلان، فنظر نينو إليه وقال: - سنجلس معا منفردين، ربما ليومين أو أكثر.

- وكيف عرفت ذلك؟

ضحك نينو بصوت مرتفع ثم قال: - حتى يتسلم الوزير الأخضر مهام وظيفته، ثم يمتلئ الحبس من الزرق.

ضحك نور مما يسمع من شأن الجزيرة وطريقة حكمها، وبدأ الطعام.

الجزيرة تستعد لاستقبال الوزير الجديد، تحفز بين القبيلتين، من سترحل عنهم الوزارة يعلو وجوههم الحزن، بينما يبتهج الذين سيتولون الوزارة، يذكرني ذلك بمباراة الأهلي والزمالك، فالفائز سعيد ويرقص، والمهزوم يتوارى، لكن هنا التحرش على أشده، وقامت عدة اشتباكات وكانت الشرطة تسرع بفضها قبل أن تحدث كارثة، وتم تجهيز الساحة المخصصة لتسليم واستلام الوزارة أمام

قصر الملك، حيث توجد منصة كبيرة، يوضع عليها كرسي كبير للملك، وخلفه مجموعة من الكراسي الصغيرة لكبار رجال المملكة، العم الأمير زين، والمستشارين، والوزير الجديد الذي سيتم تتويجه، والوزير المخلوع.

العمال يجهزون الساحة، ويرصون الكراسي فسيتم توصيل الكهرباء للمكان، لأنهم سيرقصون حتى طلوع الشمس، وقصر الملك سطحه مغطى بالخلايا الشمسية للكهرباء، وتم تجهيز مكان للفرق الموسيقية للعزف ولرقص أبناء القبيلة التي ستتوج بالوزارة، فالباقي من الزمن ثلاثة أيام للاحتفال، وكل شيء تقريبا جاهز ويشرف عليه رجال الملك والحرس الخاص به، وسيذهب إلى الساحة للمساعدة، وشد أزر أهالي قبيلة الخضر، وهم سعداء لقرب توليهم الوزارة.

(١٢)

أصبحت نانا ابنة جو صاحب النجمة هي شغل رامي الشاغل، فبحث عنها في كل مكان يمكن أن تكون فيه، وذهب إلى قصر والدها للسؤال عنها، لكنه لم يستطع الاقتراب من القصر، لشراسة الحرس الذي يمنع أي شخص يقترب منه، وحاول أن يسألهم عن نانا، لكن الحرس كان ينهره، ويأمره بالابتعاد عن القصر، وكأنه قصر الملك كاي نفسه، أخذ يبحث عن عربتها ليتأكد وجودها من عدمه، فلم يستطع، فالباب مغلق، والحرس يبعده وينهره قائلا: - إنها غير موجودة، ابتعد، من أنت لتسأل عن نانا؟

فجلس أمام القصر لعلها تخرج أو تدخل، لكن دون جدوى، وفي اليوم الذي يسبق حفل الوزير، رأى عربتها تدخل القصر فهرع إلى العربة لإيقافها، ولكن هيهات فقد دخلت العربة القصر وأغلق الباب خلفها، ولم يستطع الاقتراب لتحفز الحرس المشهرين السلاح، فجلس ثانية أمام القصر، فجاءه أحد الحرس وسأله: - ماذا تريد؟

- أريد مس نانا في أمر هام جدا، هي طلبت مني شيئا وقد وفرته لها.

- أنت توفر لابنة صاحب النجمة طلبا؟!، أأنت مجنون؟ إن والدها من يوفر للجزيرة كلها طلباتها، ابتعد، يبدو أنك تقامر بعمرك.

- أريد أن أقول لها شيئا.

- هي سوف تذهب إلى الأميرة رنا ابنة الأمير زين عم الملك مع دخول الليل، يمكنك أن تقابلها أمام قصر الأمير زين.

ضحك رامي ساخرا ومحدثا لنفسه: - إذا كنت لم أستطع أن أقابلها هنا أمام قصرها، فكيف أقابلها أمام قصر عم الملك؟، سلام.

ترك مكانه أمام قصر جو، وذهب لعمله في الكافيه.

دخل رامي على جاد في الكافيه وكان يجلس منفردا في الحديقة، فالعمال يجلسون داخل الكافيه، لخلوه من الرواد، ما أن رأته زوجه جاد حتى أتت إليهما، فقال رامي: - أنت تعرف يا مستر جاد أن نور برئ، وهو سبب نجاح الكافيه، والأن قد رحل الرواد عنه، فلماذا فعلت هذا؟

قالت زوجة جاد بحرقه: - أنت ظلمته بسبب الغيرة، إنه مثل ابني أيها المجنون.

فقال رامي: - أرجوك أن تخرجه، فليس له أحد في الجزيرة، ويكفيه وحدته.

أقبل العمال مسرعين حينما سمعوا الحوار، وتقدموا إلى جاد وكادوا يقبلون يديه ليخرجه، فهو الوحيد الذي بإمكانه إخراجه، لكنه رفض

وقال إنه لا يستطيع، لأن الواقعة سجلت أن الشرطة هي التي أمسكت به، فنحن خارج القصة، ثم أمر العمال أن يذهب كل فرد لعمله.

فردت زوجته: - أين هو العمل؟، أنت تسببت في ركود الكافيه، بل في خرابه.

ذهب العمال بعيدا عنه ينتظرون أي زبون يهل عليهم لتلبية طلباته، فقد أصبح الكافيه فارغا، ولم يعد حتى إلى حاله من قبل عمل نور.

مع دخول الليل وهدوء قسم الشرطة، وكأن من بالقسم قد ناموا، سأل نينو نور: - كيف ترى أهل الجزيرة؟

- طيبون جدا.

- تقصد فقراء جدا؟

- الفقراء لهم الجنة يا صديقي.

ضحك نينو ساخرا ثم قال: - هذا بعد الموت يا صديقي، أما في الدنيا فهم وقودها، فالفقراء وقود النار التي يستدفئ بها السادة.

- يبدو أنك ثوري يا نينو، لذلك أنت هنا

- يدغدغون عواطف الناس بأن الفقراء لهم الجنة، ليكتفوا بجنة العالم الآخر، ويتركوا الدنيا للأسياد.

- أنت تتحدث عن الآخرة كثيرا، أنت متدين إذن.

- (ضاحكا) الشيوخ يقولون أن الفقراء سيدخلون الجنة، لأنه من الصعب أن يقولوا لهم عكس ذلك، صعب أن تكون لهم نار في الدنيا، وكذلك في الآخرة، إنها دغدغة العواطف.

- أنت فيلسوف كبير.

- أنا إنسان واقعي، وأرفض أن أكذب على نفسي.

- أيوجد مساجد بالجزيرة؟

- نعم، أربعة مساجد كبيرة، في جهات الجزيرة الأربع، الشمالية والجنوبية والغربية والشرقية.

- والكل يذهب إليها؟

-(ضاحكا) نعم، يوم الجمعة.

- والملك يذهب بالتأكيد.

- طبعا، وعم الملك وأولاده، والمستشارين والوزير، جميع رجال الحكم.

- وأصحاب النجمة؟

- لا يذهبون.

- إذن أصحاب النجمة كما توقعت.

- ماذا تقول؟

- لا شيء يا صديقي، مجرد تخاريف.

- أنت تعرف شيئا أنا لا أعرفه.

- من أصحاب النايت كلوب في تلك الأماكن المشبوهة؟

- (ضاحكا) تقصد بيوت بيع المتعة؟ أصحاب النجمة طبعا، فهم التجارة والدعارة.

- لم يتغيروا على مر الزمن، هم كذلك في كل العصور، كانوا يقتلون الأنبياء.

- ماذا تقول؟، لا أفهمك

- لا عليك، قل لي لماذا يحبسونك؟ ولماذا تقول أنك لن تخرج؟

- هناك سر كبير وسأقوله لك.

- تفضل إني أسمعك.

- قبل أن أبوح لك بهذا السر، أريد أن أعلمك شيئا هاما يفيدك، لأني أراك حزينا، وتتمنى العودة التي هي مستحيلة على الأقل الآن.

- نعم هي مستحيلة الآن وغدا.

- أنت تملك الحسن وهو أدخلك السجن، وهو الذي سيخرجك منه.

- ليس لي يد في هذا الحسن، إنهما أمي وأبي.

- هذا الحسن سيجعل أصحاب النجمة والأمير زين، سيستعينون بك، وذلك لحب الناس لك، أي لحسنك، وستجد نفسك تعمل معهم وستكون صاحب مركز مرموق، لا لمهارتك، ولكن لإعجاب الناس بك، وسوف يستخدموك للتأثير على الناس.

- أيعقل هذا؟

- إنه العقل ذاته، فاستغل الفرصة وخذ مكانك وحقك من الوليمة التي يقسمونها، وتذكرني وأخرجني.

- هذا ضرب من الخيال، أنت تحلم.

- أعطاك الله هذا الحسن، فاستغله لصالحك وصالح الناس.

- كيف؟

- اسمعني جيدا، لا تكن تابعا ماد مت تملك ما يجعلك قائدا، إن لم يجعلك هذا الحسن الذي أدخلك السجن قائدا لمجموعة، فاصنع أنت المجموعة التي تصبح قائدها، ولا تكن مجرد فرد على الجزيرة، فإن

كنت في بلدك مجرد فرد لأن مثلك الكثير، فأنت هنا متفردا، أنت المبصر وسط العميان، فاستغل هذا ربما يساعدك على العودة أو على العيش الكريم، وتزوج وعش حياة الكبار.

- أفعل إن شاء الله، أنت فيلسوف كبير، لقد ساقني الله إلى هنا لأسمع كلامك الجميل يا نينو، ليساعدني على تحمل الحياة والغربة.

- ما هذا الحزن؟، آه لو كنت أمتلك هذا الحسن لعشت حياة الملوك، وكل يوم تكون لي جارية مختلفة، حقا الجمال لا يتمتع به صاحبه، ولكن المتمتع هو الناظر إليه.

- ما هو السر؟ تفضل.

بدأ نينو يفشي له السر، حيث إنه كان يعمل مع مستر جو صاحب النجمة لمدة كبيرة، وكان مسئولا عن توزيع البضائع على تجار الجزيرة، وحدثت المشكلة حينما أحضر جو في مركبه بعض الأغراب، أحضرهم مع البضائع من الخارج، ثم بدأ هؤلاء الاغراب ينقبون في الجزيرة، وعلمت أنهم وجدوا ذهبا خالصا، لا يحتاج لاستخلاص وبكميات كبيرة، وكنت صادقت بعض الأغراب وكان عددهم عشرة أفراد، وكانوا متخصصين في التنقيب، وبعد أن أخرجوا الذهب، اتضح أنه كان كنز مدفون، ولم يكن منجما، وعلم

مستر جو أني قد عرفت الحقيقة، فحاول إعطائي بعض المال لأصمت، ولكنى رفضت وقلت له أن هذا الذهب ملك أهل الجزيرة وليس ملكه أو ملك الملك، فوجدت نفسي هنا بتهمة الخرف والجنون، وأني أشكل خطرا على الجزيرة، لأني أهاجم المشايخ وأقول أنهم يضحكون على الناس لصالح الملك، فأنا في نظرهم كافر، وفاقد للأهلية، فكن حذرا حتى تستطيع الوصول إلى ما ترجوه.

- لقد سجنت نفسك أيها الحكيم وسوف أساعدك أن وصلت لشيء كما توقعت لي، وسوف أعمل بنصيحتك، وإني منتظر لتدابير الله.

- كنت أتمنى أن تخرج يوم الاحتفال بالذات.

- ولماذا؟، فالأيام سواء.

- لا، يوم الاحتفال قد يراك الملك ويقربك إليه لتعمل معه، ويحصد حب الناس لك لنفسه، أو تروق إحدى بناته او بنات عمه الأمير زين وتصبح أميرا.

أطلق نينو ضحكات عالية، وضحك كذلك نور، وأخلدا للراحة من ما كان بينهما من الحديث.

(١٣)

وصلت أخبار نور إلى الأميرة رنا ابنة عم الملك، عن طريق صديقاتها اللاتي ذهبنَ للكافيه وشاهدن حسنه، وقالوا لها إن مس نانا ابنة جو ذهبت إلى الكافيه وجلست مع الفتى وهامت في حسنه، تعجبت الأميرة رنا، كيف لنانا أن تخفي عنها أمر هذا الفتى ولقائها به، رغم أنها تأتي إليها يوميا، لابد وأن حسنه شديد، وهي أحبته وخافت عليه مني، فقالت عموما نانا ستأتي الأن مع دخول المساء لجلستنا اليومية، لن أسألها عن الفتى وأرى هل ستحدثني عنه أم ستداري وتغار عليه.

دخلت وصيفتها لتعلن عن قدوم نانا، استقبلتها رنا وتحدثتا كثيرا، لكن نانا لم تبلغها عن نور بشيء، وقالت لها رنا إن الملك كاي طلبها للزواج، فكانت مفاجأة لنانا لكنها أسعدتها، فبهذا لن تفكر رنا في الفتى نور الذي سوف تأتيها أخباره بلا شك، فنانا تخافها لأن حب الامتلاك عند رنا كبير، وهي بطبعها هوائية، فسألتها لمجاراتها في الحديث: - الملك لديه من النساء الكثير.

- إنه يريد الولد، ويقول إنني سأكون مثل أمي التي أنجبت من الذكور خمسة.

- نعم، ولكن هل توافقين أن تكوني رقما في نساء الملك؟

- لا، لن يكون.

- لكنه الملك، فمن سيقول له لا؟

- وأنا الأميرة رنا، وسأقولها.

أحست نانا بخوف على نور، فلم تبلغ رنا عنه، وتحدثتا في أمور كثيرة، حتى قامت نانا للانصراف قبل موعدها، مدعية أنها ستستعد لاحتفال تسليم الوزارة غداً وانصرفت.

دهشت رنا لاستمرار إخفاء نانا لقائها بالفتى الوسيم، وأخذت تحدث نفسها: أيعقل من أجل رجل تخسرين صداقتي يا نانا؟، ثم من قال إنني سأعجب بالفتى، ما دام الأمر هكذا لنرى من ستفوز به.

خرجت نانا من قصر الأميرة رنا إلى كافيه جاد مباشرة، لترتب مع نور مشاهدة احتفال الغد معا، فجأة وجد عمال الكافيه عربة مس نانا تقف أمامهم، فاندفع العمال إليها، وكذلك زوجه جاد، بينما جلس جاد واضعا رأسه بين كفيه، فتقدم رامي نحو العربة مسرعا: - مس نانا لقد بحثت عنك كثيرا، وذهبت لقصر والدك وطردني الحرس.

- ماذا حدث؟ لماذا أنتم منزعجين هكذا؟، أين نور؟

- هذا سبب بحثى عنك، إنه في السجن.

ردت نانا بانزعاج: - ماذا؟ في السجن، لم؟

- اتهم بسرقة سوار مسز جاد.

تقدمت زوجة جاد وهي لا تخفي حزنها: - إنه برئ، وحبسه جاد غيرة منه علي، وأنا مثل أمه.

نظرت نانا إلى جاد وهي تتأهب للذهاب للشرطة: - لا تخافوا، أنا ذاهبة إليه لإخراجه الآن (ثم وجهت كلامها لجاد) ستدفع ثمن هذا الظلم يا جاد، وستحبس مثله، بل أضعاف مدته.

ذهبت للشرطة وسط تصفيق وسعادة العمال، حتى جاد نفسه كان سعيدا بتصرفها، دقائق وتوقفت أمام الكافيه عربة أخرى، الكابينة مذهبة ويجرها حصانان وليس حصان واحد مثل عربة نانا، وعليها سائق وحارس، وليس سائق فقط مثل موكب نانا، قفز عمال الكافيه غير مصدقين، إنها عربة الأميرة رنا، هل أتت لتشرب عندنا مشروبها؟ إنه شرف للكافيه، فتح الحارس الباب ونزلت الأميرة رنا، وترجلت داخل الكافيه، فأقبل الجميع إليها مرحبين، وفي مقدمتهم

جاد، فانحنى وقبل يدها، وكذلك فعلت زوجته، ثم سارت الأميرة بخطى ثابتة، لكن عينيها تمسحان الكافيه، كأنها تبحث عن شيء ما، عرفت مسز جاد بحاسة النساء عم تبحث أميرة الجزيرة، إنها تبحث عن الوسيم الذي حكي لها عن أوصافه في قصرها، تقدم جاد الأميرة إلى أفضل موقع، ونظر للعمال فذهبوا، وسألها: - بأمرك يا سمو الأميرة، ماذا نحضر لك؟

- عصير.

وأشارت إليه بالانصراف، فتقدمت مسز جاد من الأميرة مبتسمة في خبث: - سمو الأميرة تبحث عن الغريب؟

أومأت الأميرة برأسها أي نعم، فقالت لها مسز جاد: - إنه للأسف بالحبس.

انزعجت الأميرة من الخبر، فقصت عليها مسز جاد القصة كاملة، فقامت وهي تتوعد جاد بسوء العقاب، وذهبت إلى الشرطة، بينما وقف جاد يندب سوء تصرفه: - ماذا حدث؟، الكل يسأل عن نور، وكأنها عدوى أصابت الجزيرة، (ثم نظر لزوجته) سعيدة أنت الآن؟، سوف أسجن.

- هذا جزاء أعمالك.

وصلت الأميرة رنا إلى مبنى الشرطة، والكل يحيها وينحني لها، فدخلت لغرفة رئيس الشرطة، وكانت المفاجأة حيث وجدت نانا تجلس مع الضابط، فهب واقفا حين رأى الأميرة، وكذلك نانا، ترك مكانه لتجلس الأميرة إلى المكتب، ووقف ينتظر الأوامر.

- أين الغريب؟

- حالا يا سيدتي، فمس نانا أيضا جاءت من أجله، أتريدين التحدث إليه؟

- أريد الإفراج عنه، أحضره.

- أوامرك.

خرج الضابط ينادى على العسكري لإحضار نور من الحجز، بينما نظرت الأميرة لنانا التي حاولت الهروب بعينيها من نظراتها، فقامت لتستأذن في الانصراف من مبنى الشرطة، فأوقفتها الأميرة رنا:

- اجلسي يا نانا، لماذا لم تخبريني عن هذا الغريب؟

- إنه موضوع بسيط، ولم أكن أعرف أنك تهتمين بالغرباء.

- وهل أنت يا نانا تهتمين بالغرباء؟ (ضاحكة) أنت لا تهتمين إلا بنفسك.

- إنه فتى بسيط، ولم أتخيل أن سمو الأميرة تهتم بعامة الناس.

- نانا تستطيعين الانصراف الآن، صحبتك السلامة.

خرجت نانا وهي في قمة غضبها، وجلست رنا تنتظر نور.

سمع نور صوت حركة مزلاج باب الحبس وهو يفتح، ودخل العسكري بعد أن أضاء نور غرفة الحبس من الخارج، اعتدل نور ونينو وجاء صوت العسكري:

- إفراج يا نور، ولكن ما حكايتك؟ فمس نانا ابنة مستر جو صاحب النجمة جاءت تطالب بخروجك، فقلنا أمر عادي، لكن المفاجأة من أتت بعدها من أجلك.

سأل نينو بسرعة: - من؟

- لن تصدق يا نينو.

- لا، سأصدق، فنور وسامته جذابة.

- إذن فاستعدا للمفاجأة.

- قل.

- الأميرة رنا ابنة عم الملك.

صاح نينو: - يا للنهار الأسود.. أيعقل ذلك؟

فصاح نور: - هذه كارثة، ماذا أفعل؟، من أكون وسط أمراء وملوك؟

ابتسم نينو وطلب من العسكري مهلة لدقائق كي يودع صديقه، فوافق العسكري قائلا: - لكن بسرعة، فلن استطيع تحمل غضب الأميرة إن تأخر.

خرج وأغلق الباب خلفه، فنظر نور إلى نينو وسأله: - أشر علي يا عم نينو، ماذا أفعل؟

- أسمع، فلا وقت للنقاش، نفذ ما سأقوله لك، ابتعد عن البنتين، فهما حيتان، ولو ارتبطت بالأميرة لن تتركك صاحبة النجمة، وهذه عقابها الموت، ها أنا ذا أمامك، ستجد نفسك متهما بقلب نظام الحكم وأنت زوج الأميرة، لنقل الحكم لإخوتها وستكون نهايتك، وإن ارتبطت بنانا، تكون نهايتك على يد الأميرة رنا، وهذا سهل جدا لن تحتاج لمؤامرة أو تدبير، ابتعد عنهن، أنا أعرف أن آدم والد رامي لديه فتاة

تجاوزت العشرين، تزوجها لتنجو من الحيتين، فزواجك سيجعل أكبر تفكير لهن، هو التقرب منك، أي مغامرة فحسب، بلا زواج أو سيطرة، وأهم شيء أن تعرف الأن كيف تستغل أمر كنز الذهب وتستخدمه ضد نانا، لأنها بعد زواجك ستحاول الانتقام منك، فأنت معك السر الذي سيجعلها تبتعد عنك، لأن الأميرة أكبر من أن تنتقم منك بسبب زواجك، فتزوج ليل واحم نفسك.

فتح الباب ودخل العسكري: - هيا يا نور، الأميرة في انتظارك.

فرد نينو: - ومس نانا؟

ضحك العسكري بسخرية: - طردتها الأميرة.

ضحك نينو وقال: - ما رأيك يا نور؟، صح توقعي، والاثبات جاء سريعا، كي تعرف عقل عمك نينو، نفذ يا نور لا تضيع الوقت.

اقتاده العسكري واغلق الباب خلفهما.

نظرت الأميرة رنا إلى نور الذي دخل عليها بصحبة العسكري، لم تصدق رنا عينيها، فأشارت للعسكري وكذلك للضابط بالخروج، وحدثت نفسها إنه وسيم جدا، فالتمست لنانا العذر لإخفائها أمره،

إنها لم تر مثل هذه الوسامة من قبل، فهي مثل أهل الجزيرة لم تغادرها يوما، وكل الناس بالجزيرة كما لو كانوا من قالب واحد.

حينما دخل نور على الأميرة وهي جالسة مكان الضابط، وجد أميرة بمعنى الكلمة، مثلما كان يسمع عن الأميرات في قصص ألف ليلة وليلة، إن جمالها له هيبة وشموخ، عيون سوداء تضحك بصوت مرتفع، إنه يرى قلبها على وجهها الخمري المائل للبياض، والشعر الأسود الفاحم الحريري يتدلى على كتفيها ويغطي جبهتها ويلامس أعلى حاجبيها، تلك الطاقية المصرية المسماة (القُصة) أحس بشيء يجذبه إليها، لقد شعر بنبض قلبه، حدث نفسه: أنت مخطئ يا عم نينو، إنها ملاك وليست حية، أنت لا تعرف النساء، أنت فقط تكره السادة. تقدم نحوها وهو سعيد برؤيتها، ويكاد أن يسمع دقات قلبه، همس لقلبه: أسكت أيها الغبي ستفضحنا، أيها الصعلوك لا تحلم، إنها الأميرة. تقدم وعيناه لا تسقطان عن عينيها، كذلك عينيها لم تتركان عينيه الزرقاوين، وقد غاصتا في أمواجهما.

بدأ يتكلم، فأيقظها من شرودها في جماله، عينيه وحواجبه الثقيلة ذات اللون البني ووجهه الوسيم الأبيض كالبدر، حينما سألها: - أمرك يا سيدتي.

- اجلس، لماذا سجنك جاد؟

- أنا برئ، ولم أسرق طوال حياتي.

- أعرف، لقد اعترفت لي زوجته، وجئت لإخراجك، وغدا سيسجن جاد كما سجنك عقابا له.

- أنا سامحته يا سيدتي، أرجو أن تسامحيه، فلديه عمال هو سبب رزقهم.

- بهذه البساطة؟، لو لم أخرجك ما خرجت، ورغم ذلك تسامحه؟

- سامحيه سموك، بكرم منك، فلا أريد أعداء بالجزيرة، فأنا غريب وليس لي أحد.

- كما ترى يا نور، ولكن من أين أنت؟

- من مصر، هل تعرفينها؟

ضحكت ضحكة جميلة رقص لها قلبه، لتظهر أسنان مثل حبات اللؤلؤ

- لا أعرف أي مكان غير جزيرتنا، هل أنت مرتبط؟

- لا يا سيدتي.

- بكل هذه الوسامة وغير مرتبط؟، يبدو أنك تحرك قلوب النساء، ولم تحرك قلبك إحداهن.

- سمو الأميرة، أنا بسيط جدا، والحب يأتي في وقته بلا مقدمات.

- نعم، صدقت، لكن قل رنا فقط بلا ألقاب.

- أنت أميرة وابنة عم الملك..

- ليتني ما كنت، لأعيش حياتي كأي فتاة.

- لكل شيء ثمن يا سيدتي

- نعم، قلت لك قل رنا فقط، ما عملك وماذا تتقن؟

- أنا محاسب، أستطيع عمل حسابات وبرامج حسابية.

- أفهم الحسابات، لكن لا افهم البرامج.

- أستطيع تعليم الأولاد والشباب القراءة والكتابة بالعربية والإنجليزية.

- هذا جميل نحن بحاجة لتعليم اللغة العربية كتابة، فنحن نتحدثها لكن لا تكتبها، سوف أحدث والدى في هذا، لتعلم الأولاد، ونبدأ بأولاد إخوتي، ونقيم لك مدرسة لتعلم أولاد الجزيرة.

- هل تعطينني الأمان لأقول ما أحسه؟

- نعم يا نور.

- أنت أجمل من قابلت، داخليا وخارجيا، أرى قلبك على وجهك، وعيناك تضحكان، أول عينين أراهما تضحكان.

ابتسمت رنا في سعادة: - وهل هذا الكلام يغضب؟، إنه يسعد.

نظر كل منهما للآخر، وقالت العيون كل شيء، ثم قالت: - رغم سعادتي بلقائك، لكن ليتني لم أرك.

- لماذا سيدتي؟

- قلت قل رنا، ستعرف غدا، إنه قدري يا نور.

- وكيف أراك ثانية؟، فأنت الأميرة وابنة عم الملك.

- غدا أنتظرك بالساحة لحضور حفل تنصيب الوزير الأخضر.

- سمعا وطاعة يا سيدتي.

- قل رنا، أين تذهب الآن؟

- إلى الكافيه، فما زال صديقي رامي هناك.

- هيا لأوصلك.

- العفو سيدتي.

- رنا فقط، هيا لا تعترض.

ثم نادت على الضابط، فدخل بسرعة فأعطته الأمر: - لا تحبس جاد، فنور قد سامحه.

انطلقت وهو خلفها، أراد أن يجلس بجوار الحارس خارج كابينة العربة، فرفضت، وأجلسته بجوارها، وأثناء جلوسه، لمس يدها فلم

تسحبها أو تعترض، فأمسك يدها ونظر كل منهما للآخر، ثم قبل يدها، فابتسمت، ونظر كل منهما في عيني الآخر، فتعانقت الأعين وقبلت بعضها، قبلات العيون بسهامها وموجاتها، ولأول مرة يشعر أن قبلات الأعين ألذ من قبلات الشفاه، فسألها: - هل تؤمنين بالحب من أول نظرة؟

- ابتسمت وقالت، لقد أصابني الآن، فليتني ما قابلتك.

- إنني ولدت اليوم، كيف أراك ثانية؟

- سآتي إلى الكافيه لآخذ مشروبي وأراك، ثم نرى ماذا تفعل بنا الأيام.

دقائق وكانت العربة أمام الكافيه، ونزل نور وسط تهليل الجميع الذين أقبلوا نحو العربة يحتضنون نور، ثم وجهت رنا كلامها لجاد: - كنت سأحبسك، لكن نور سامحك، وطلب مني أن أسامحك، اشكره يا جاد.

ثم انطلقت بالعربة، واحتضن جاد نور، وطلب منه العفو، فدخل نور الكافيه وسط تصفيق جميع العمال والرواد.

(١٤)

ازدحمت الساحة عن أخرها بقبيلة الخضر، لتسليم وزيرهم مهام الوزارة، ليمتلك الخضر مجريات الأمور بالجزيرة، ووضعت الكراسي على المنصة لكبار رجال الجزيرة، يتوسطهم كرسي كبير الحجم ذو ظهر مرتفع للملك، وجلس الجميع في انتظار حضور الملك كاي، جلس عم الملك، والوزير السابق والوزير الجديد ورئيس الشرطة، ورئيس الجيش، والمستشارين، وأمام المنصة وضعت الكراسي لعلية القوم، أولاد عم الملك وعلى رأسهم الأخ الأكبر الأمير جاك، الذي يعتبر وليا للعهد، وأصحاب النجمة، وكبار التجار، وزعيما القبيلتين، وعلى جانب الساحة انتظمت الفرقة الموسيقية، التي بدأت العزف منذ الصباح، وأمامها الراقصات من بيوت الهوى شبه عرايا يرقصن ويتمايلن، والجميع يرقص رجالا ونساء.

دخل نور ورامي الساحة حسب موعد نور مع الأميرة رنا، ولو لم تطلب منه الحضور ما جاء هذا الاحتفال الماجن الغريب، وقال له رامي: لقد جئت من أجلك يا نور، لرغبتك مشاهدة هذا الاحتفال. فنور لم يطلع رامي على السبب الحقيقي لحضوره الاحتفال، ولم يطلعه على ما دار بينه وبين الأميرة رنا، فقال رامي:

- يا نور هذا احتفال الخضر، وأنا الأزرق الوحيد هنا، اخاف أن يشعروا بي، ويعتدوا علي.

لم يرد عليه نور لأنه لم يسمعه، فكانت عيناه تبحثان في المكان عن أميرته رنا، وكان يحدث نفسه: ماذا حدث لي؟، هل أقع بهذه السهولة؟، لقد وقعت أيها الوسيم وانتهي الأمر.

جاءه صوت رامي: - على من تبحث يا نور؟، فنظرك زائغ في كل اتجاه.

- أشاهد فقط، فإن ما يحدث جديد علي.

- ألا ترد تحيات البنات لك؟، أنهن يكدن يهجمن عليك ويقبلنك، وأنت مغيب.

- متى يأتي الملك؟، وأين تجلس عائلته؟

ضحك رامي وقال: - أتظنني غبيا يا نور؟، أنت تبحث عن الأميرة رنا التي أخرجتك، أليس كذلك؟، فهذا طبيعي يا أخي لتشكرها، ولكن قد تكون نهايتنا أن اقتربنا منها، فالحرس لا يتفاهم.

- لا تخف، نقف بعيد، فإن هي أرادت السلام علينا ستدعونا، فهي لا تخاف.

- إذن هم في المقدمة، تعالى خلفي، ولكن معجبيك سيتعبوننا.

أثناء سيره في الزحام، لم يسلم من معاكسات البنات له، أحيانا معاكسة بريئة، وأحيانا أخرى بذيئة، فيجد من تهجم عليه وتقبله، ومن تتحرش به، وتمسك جسده بلا خجل أو حياء فتضع يدها على جسده، وفجأة وجد مس نانا صاحبه النجمة أمامه، تعجب كيف وجدته في هذا الزحام، فاستوقفته وهي تسأله: - إلى أين يا نور؟، عن من تبحث؟

ابتسم وسلم عليها، فأمسكت بيده، كأنها تعلن للجميع بإمساكها يده أنهما أصدقاء، استخلص يده منها بهدوء: - سأقترب من المنصة لأشاهد الاحتفال عن قرب.

- إذن تعالى خلفي، فنحن في المقدمة.

لم يجد مفرا، فهي قد أتت بالأمس ليفرج عنه، فلابد وأن يعاملها باحترام، فعليه أن يعترف بجميلها عليه، فقد كان رامي يبحث عنها في كل مكان، وإن أخرجته الأميرة رنا فهي قد ذهبت لتخرجه، ثم إن العم نينو ما زال بالحبس بسبب والدها، فالحذر واحب.

وجد نور نفسه أمام مستر جو والد نانا، رجل في العقد الخامس، يرتدى ثياب بسيطة، نظر نور إليه، فالرجل يملك عيون ثعلب،

فوجهه بلا تعابير، فلا تعرف إن كان سعيدا أم حزينا، حدث نور نفسه: هم كذلك أصحاب النجمة لا يقرأهم أحد.

تحدثت نانا: - هذا نور الذي يجيد الحسابات والكمبيوتر يا أبي.

ابتسم نور محدثا نفسه: نعم فكل أصحاب النجمة كذلك، لقد تحدثت مع والدها عن فوائدي، وما أستطيع صنعه، وليس عن شخصيتي وعن كونها تحبني (مبتسما) إنها تفهم والدها جيدا، فأعطته ما يريد لتأخذ منه ما تريد.

هز جو رأسه ونظر لنور ولابنته نانا، وقد وقف بعقل الثعلب على الحكاية، محدثا نفسه أيضا، فالكل يترقب الكل: لقد وقعت في وسامته يا نانا، وتريدينه معنا ليكون قريب منك، ماكرة مثل أبيك، تريدين الزواج وليس العمل.

نظر جو إليها وقال: - لنرى، احضريه لي بالمكتب.

انسحبت نانا للخلف ومعها نور، ليجلسا لمشاهدة الاحتفال حتى لا يتركها وينصرف، وأثناء رجوعه للخلف شاهد من تشير إليه، إنها بالصف الأول أمامه، فمستر جو يجلس بالصف الثاني خلف العائلة الملكية، أحس نور بسعادة تغمره فور رؤية أميرته الجميلة التي ساقها القدر إليه بالأمس، فلأول مرة يشعر أن للسعادة رعشة تهز

جسده كله، تقدم إليها مسرعا، بينما تسمرت نانا في مكانها، يعلو وجهها الغضب، وتشعر بالنار تأكل قلبها أكلا، ولم تستطع إيقافها، بل وقفت تراقب ما يحدث، فمد نور يده وسلم على الأميرة رنا وانحنى أمامها وقبل يدها، فهو وسط جمع كبير ولابد من هذا، فهكذا تعامل الأميرات، فكانت بجانب أخيها الأكبر، فهو الملك القادم، لأن الملك كاي ليس لديه وليا للعهد لعدم إنجابه ذكور، أخوها في العقد الرابع، له هيبة الملوك، أحس نور أنه يقف أمام ملك وليس أمير، فأشارت إليه قائلة: - سمو الأمير جاك أخي، وولي عهد الجزيرة.

ثم أشارت إلى نور: - هذا نور، من تحدثت معك عنه ويريد تعليم أطفال الجزيرة كتابة اللغة العربية، وسوف نبدأ بأطفال العائلة المالكة.

تقدم نور، وسلم على الأمير جاك، وقبل يده، فابتسم الأمير وعرف أن هناك شيء غير هذا، لأن الفتى وسيم جدا، ذو عيون زرقاء تعبر حدود التعليم وغيره، وقال: - مشروع جميل، يمكنك أن تبدأ، وعليك المتابعة وإخباري يا رنا، فهذا الأمر تحت مسئوليتك.

وفجأة خرج أحد الحراس يعلن دخول الملك، فصمت الجميع، وتسمروا وقوفا في أماكنهم.

(١٥)

بدأ الملك يتحدث عن وحدة الجزيرة، وأن الشعب كله رجل واحد، ومهمة الوزير خدمة الجزيرة كاملة، لا فئة معينة، فلا يفرق بينهم أو يهتم بأحد ويهمل الآخر، زاد صوت تهليل الجميع بحياة الملك، كمظاهرة حب له، وقف الوزير السابق وخلع عبائه الوزارة، وألبسها للوزير الجديد وسط تصفيق الحضور، واتجه الوزير الجديد إلى الملك ووقف أمامه ورفع يده اليمنى فارد كفها، وألقى قسم استلام الوزارة وسط التهليل الصاخب، فكل من بالساحة هم قبيلة الخضر، مال نور برأسه على الأميرة رنا:- أهذا يحدث كل عام؟

ابتسمت رنا وقالت: - نعم.

- سنة واحدة غير كافية لأنهاء أي مشاريع.

- حذاري يا نور أن تتحدث بهذا أمام أحد، إنها السياسة والنظام.

ابتسم نور وهمس لها: - أنت رائعة يا رنا، أريد أن أقول شيئا، ولكن اعطني الأمان، ولا تغضبي، أو افتقد قربك وصداقتك.

- لك هذا، وأنا سعيدة لقولك رنا دون ألقاب، لك الأمان.

- أنت جادة في الأمان، ولن افتقدك؟

- نعم، قل.

- أحبك يا جميلتي ومليكتي.

ابتسمت رنا، وتورد وجهها، ثم نظرت إلى الأرض، ثم إلى عينيه وقالت: - وهل هذا الاعتراف يغضب يا نور؟، لقد أصبحت نور روحي.

ظهرت السعادة على نور، ونسى نفسه ومن حوله، والزحام الذي يحيط بهما، وكأنهما بمفردهما بالعالم، نسى كل شيء، وهم بالوقوف ليصرخ فرحا، فأمسكته رنا وأجلسته، فأحس أنه أصابته لوثة، فهدأ ثم قالت له: - أجننت؟

- نعم، ولكن أعذريني.

نظرت إلى عينيه الزرقاء الجميلة، وقالت له: - كلما نظرت لعينيك أحسست بالسعادة والأمان، كم هي جميلة.

- وأنا حين أنظر لعينيك أحس بالحياة تدب في أوصالي، أشعر أنني وجدت نفسي في غربتي، فروحي في عينيك، لم أعد وحيدا على الجزيرة، ولا أريد الرحيل عنها، إنني أحبك.

- انتبه، فنحن وسط الناس، وأخاف أن يسمعنا أو يشعر أحد بما نحن فيه.

صمتا واعتدلا، لكن الملك لاحظ أنهما يتهامسان، فمال إلى عمه الأمير زين الجالس بجواره وسأله: - من الذي يجلس بجوار رنا؟، إنه لا يشبهنا، أهو غريب؟

- نعم يا جلالة الملك، إنه غريب، وقد حدثتني رنا عنه، إنه متعلم ويتقن أشياء كثيرة، ويريد تعليم أطفال الجزيرة القراءة والكتابة بالعربية التي لا نتقنها.

- هذا كلام جميل، لكن ليس أكثر من ذلك يا زين.

- ماذا تقصد يا مولاي؟

- لا شيء، متى نعلن جوازي من رنا؟

- أنا لم أسألها بعد يا مولاي.

- وهل تسأل الفتاة عن هذا عندنا؟، ثم هل يرد طلب الملك؟، ماذا جرى لك يا زين؟، أجننت؟

- نحن طوع أمرك يا مولاي.

نظر زين إلى ابنته الجالسة بجانب الفتى الوسيم وهي في نشوة السعادة، وكيف أنها متيمة به وأسرها حسنه، فهي تتمنى الزواج منه، وقد استنتج هذا بحاسة الأب وما يراه الآن أمامه من الحوار والانسجام بينهما، ولكن كيف يوقف رغبة الملك.، إنه يكاد يجن من أجل إنجاب الولد، فهو مستعد للزواج من كل نساء الجزيرة من أجل هذا، أحس بالأسى، ولكن ما باليد حيلة، لنرى ما تخبئه الأيام.

همس نور لرنا: - يبدو أن الملك يتحدث عنا مع الجالس بجانبه.

ابتسمت رنا: - أظن ذلك، فالجالس بجواره هو والدي الأمير زين.

- عذرا، فأنا لم أراه من قبل.

- لقد تحدثت معه عن تعليم أطفال الجزيرة، وأبدى الموافقة وكذلك أخي، الأمور تسير بشكل جيد، وإن كنت غير مطمئنة من جهة الملك.

همست رنا لأخيها الأمير جاك الجالس على يمينها، وأسرت له بما يدور بقلبها، فهي تظن أن الحوار الدائر بين الملك ووالدهما يخصها، فهز رأسه إيجابا، وقال لها: سوف نعرف، وأنت تعرفين السبب، فلماذا السؤال؟.

فلاذت رنا بالصمت.

قام الوزير السابق، وسلم على الوزير الحالي بعد القسم، ثم قام الملك للانصراف، وحيا الناس ملوحا بقبلات تحملها يديه، وتنثرها عليهم، وانصرف، فأعلن مقدم الحفل انتهاء مراسم تتويج الوزير، أما الجماهير فيستطيعون البقاء والرقص والغناء حتى الصباح.

ترك الملك المنصة، ودخل إلى القصر من باب المنصة، وانصرف كل من كان على المنصة، حتى فرغت تماما، وفي ثوان صعدت الراقصات وعزفت الموسيقى، وبدأ الرقص والعربدة، ثم بدأ الشباب يصعدون، ليرقصوا معهن، وعم الصخب والصياح والصرخات الماجنة المكان.

فور خروج الملك نهض الأمير جاك، وأشار إلى أخته أن تتبعه، فسلمت على نور وهمست له: - أراك غدا في الكافيه.

سارت خلف إخوتها، وغادر نور الحفل، فوجد رامي ينتظره بجوار نانا، لكن نور اختفى في الزحام، ليهرب من نانا، وعاد للمنزل.

(١٦)

استلم الوزير مهام الوزارة، وكعادة نظام الجزيرة، قام بتغير جميع رجال الوزارة القديمة، ورئيس الجيش والشرطة من قبيلة الزرق إلى قبيلة الخضر، فهي لعبة الكراسي التي تتم كل عام، فيذهب الطاقم الحالي، ليعود الطاقم القديم، وبعد عام يبدل الوضع، وقام أيضا بإلغاء القوانين القديمة وإعادة القوانين التي ذهبت معه منذ عام مضى كعادة كل تغير، غير أنه كان رجلا صلبا يكره قبيلة الزرق، بل يكره اسمها، فسن قوانينا قاسية على المحلات التي يرتادها أفراد قبيلة الزرق مثل الكافيهات والمطاعم، حيث يدفع شلن أسبوعيا عن كل كرسي، أما النايت كلوب فيدفع شلنان عن كل كرسي، ورغم اعتراض أصحابها لأن الإشغال الكامل لا يحدث أبدا ليكون التحصيل على العدد الكامل، وكل راقصة تدفع خمسة شلنات عن كل يوم، أما المحلات التابعة لقبيلة الخضر تدفع عن الترابيزة شلنا واحدا لكل شهر، فظهر الانحياز لقبيله على حساب الزرق، وسن ضريبة على الصيادين، فكل قارب يدفع خمسة شلنات أسبوعيا، وإذا ذهب للسوق لبيع السمك يدفع شلنا عند دخول السوق، أما عن المواطنين من العامة فكل شخص يدفع خمسة شلنات عن كل شهر، تخصم من راتبه في مقر عمله، أي أن نور ورامي سيدفع كل منهما خمسة شلنات

شهريا، وأطلق الوزير يد رجاله في قبيلة الزرق، جميع المحلات، والمطاعم، والكافيهات، وكل رجال الصيد، فعاث رجاله في الأرض فسادا، وكالوا المر لقبيلة الزرق، فحدثت احتكاكات كثيرة بين رجال الوزير المدعمة برجال الشرطة وأصحاب المحلات، وكذلك عامة الناس، واشتعلت الجزيرة، وامتلأ السجن بالزرق عن أخره، ولم يصبح السجين نينو وحيدا بسجنه، واستغل غضب المساجين الزرق وراح يشحنهم ضد الوزير الأخضر والملك الذي لا يهتم بشعبه، بل يهتم فقط بالزواج لأنجاب الولد، فعدد زوجاته حتى دخول نينو السجن وصل لعشرين زوجة، فدائما العدد كاملا عنده، أربعة زوجات معا، ومائة جارية، فرد أحد السجناء: - لقد وصل إجمالي الزوجات إلى خمسة وعشرين زوجة، فقد أصبح يطلق بالأربعة ويتزوج بالأربعة كل عام من أجل الولد، وأنجب ثلاثين بنتا، لا يعرف أسمائهن.

فصاح نينو: - هذا الملك لا يهمه الشعب، كل ما يهمه نفسه وملذاته وكرسيه.

أخذ نينو يحكي لهم عن الملك نور الأول الجد الأكبر، فقد كان محبا لشعبه، ويصنع كل شيء من أجلهم، فأصبح كل سجين بفضل نينو

والوزير الأخضر الجديد قنبلة موقوتة تنتظر الفرصة، لتنفجر في الحاكم.

أحضر رئيس المخابرات ملفا كاملا عن الغريب كما طلب منه الملك، وأطلع الملك أن الغريب ليس له في السياسة، وأن البحر ألقاه بالجزيرة، ويعيش عند الصياد آدم مع ابنه رامي، ويعمل في كافيه جاد، وإن علاقته بالأميرة رنا عندما ذهبت للكافيه لأخذ مشروبها كرواد الكافيه، وعلمت أنه يستطيع خدمة الجزيرة وتعليم الأولاد لأنه متعلم ويجيد الحسابات والقراءة والكتابة، وهذا ما جعلها تهتم به لحبها للجزيرة وملك الجزيرة ابن عمها.

لقد قال رئيس المخابرات ما أملاه عليه عم الملك الأمير زين وابنه الأمير جاك، وأخفوا عن الملك إنها أخرجته من الحبس، حتى لا يشك في العلاقة بينهما ويقتله، فرئيس المخابرات صديق للعم زين وأولاده، ويعلم جيدا أن الأمير جاك هو الملك القادم، وأعطى رئيس المخابرات الملك المعلومات التي أراد الأمير زين أن يوصلها للملك، وأحس الملك بالراحة، لكنه خاف من وسامة الغريب، وإن تعجب به رنا، فهي صغيرة، والملك عمره خمسون عاما، ورنا في العقد الثاني، أي في سن ابنته الكبرى مايا، والفتى صغير ووسيم جدا، لذلك أرسل لمستشاره الخاص للحضور بين يديه لمشورته.

مر المستشار على العم زين قبل الحضور بين يدي الملك، فلقنه ما سيقوله للملك، فسيطرة العم كانت كاملة على كل مفاصل المملكة رغم حرمانه من الحكم، إلا أنه هو الحاكم الفعلي لها بمساعدة أصحاب النجمة والمشايخ.

جلس المستشار بين يدى الملك، وقال له أن الفتى الغريب ليس له في السياسة، وأنه ذهب للكافيه، ورأى الفتى عن قرب، فالناس كلها تحبه لوسامته، وهو متعلم وأسلوبه في الحديث ممتاز، ورأيي أن يبدأ تعليم الأولاد تحت جناح الملك، وليس عم الملك، ليعرف الناس أن الملك يحبهم، ويفعل كل ما فيه مصلحة الجزيرة من أجلهم، وبهذا نحصد حب محبيه لنا أيضا، ويمكننا أن نبدأ التجربة بأولاد العائلة المالكة، فعددهم يزيد عن الألف، وفور نجاحها نختار مكانا بالقرب من أحد الميادين، ونبدأ تنفيذ الفكرة بالجزيرة كلها، فالجزيرة كلها، لا تكتب ولا تقرأ العربية هي محادثة فقط ولا يجيدها إلا الشيوخ فقط وأولادهم ونحن بحاجه له، وافق الملك وطلب من المستشار أن يبدأ ويكون المسئول أمامه، وأن يبدأ بالاثنين معا، فتعليم العائلة المالكة يكون بالمبنى الموجود بحديقة القصر وهو غرفتين يكفيان لهذا، ولأبناء الجزيرة بالقرب من ميدان السوق، هناك مبنى خاص بإدارة السوق، خذ منه غرفتان أو ثلاثة فهو كبير، ولا فائدة منه، فالسوق

يديره جو صاحب النجمة كما يشاء، والإدارة تكتفي بالفرجة وأخذ المعلوم من جو.

ضحك الملك وكذلك المستشار، فكان المستشار مثل باقي الناس، يظن أن الملك نائما، ولا يعرف أحوال الجزيرة، وطلب منه إحضار الفتى ليتحدث معه، دار بعقل الملك أن يقرب الفتى منه، ليجبره أن يبتعد عن الأميرة رنا، ولو ذوقيا، حتى لا يخسر علاقة الملك، فمن هو الذي يقربه الملك منه ويرفض أو يبتعد أو يأتي بعمل يغضب الملك؟.

دخل الأمير زين على ابنته الأميرة رنا، وفي خفة، فخرجت وصيفات رنا، جلس وربت على رأس ابنته، فهي حبيبته وآخر العنقود، يعرف أنها أحبت الفتى وهو مناسب لها، أما الملك فهو بضعف عمرها، ولكن ما العمل؟، إنه يستطيع أن يرفض زواج الملك منها، لكنه سيخسر الملك، وسيقتل الملك الفتى نور، ابتسم لابنته وقال لها: إنك من اليوم ستكونين مراقبة من رجال الملك، فكوني حذرة، حتى لا تضري نور ويقتله الملك، فالملك سوف يقرب الفتى إليه، فمشروع تعليم الأولاد سيقام في قصر الملك تحت إشرافه، كما خططت له أنا، لنحمي الفتى، لأن حمايته هو حماية لك أيضا، فأخاف أن يقتلك لو علم أن هناك علاقة لك بنور، فسيكون قريبا من الملك، ولقد طلبك الملك للزواج، ابن عمك، والملك لا يرد له طلب.

تغير وجهها وانفجرت في البكاء: - إنه يقترب من سنك يا أبي، ولا أحبه، فأنا في سن مايا ابنته، لا أريده.

ربت والدها على كتفها، وقبل جبهتها وقال لها: - لا ندري ماذا تخفي لنا الأيام، احذري من تصرفاتك وحركاتك حتى لا نثير الملك، وخرج وتركها تبكي.

لم يتوقع نور ما يحدث له، وأن تتسارع الأحداث به هكذا، فنانا تأتي إليه وتعطيه موعدا غدا للقاء والدها مستر جو، ووافق نور، فلا يستطع الرفض، وتحدثت إليه كثيرا، وأجلسته معها على الترابيزة وكأنه زبون، وهو لا يريد هذا، فبسبب هذا سجنه جاد، لكنه لن يفعلها ثانية، فقد عاد الكافيه وزاد عدد الرواد، وزادت الحصيلة وانتفخت جيوبه بالمال، وقالت له زوجته: - كن ذكيا، نور يصبح رئيس العمال، ويقف وسط الكافيه ويحرك العمال، بحيث يكون أمام البنات دائما، إنه مغناطيس الرواد ولابد أن تحافظ عليه، فهناك كافيهات أخرى تريده، غير إنه صديق لصفوة القوم.

فسمع الكلام وزاد راتبه إلى عشرة شلنات يوميا، حتى لا يترك الكافيه ويذهب لغيره، فقد جاءته عروض وصلت إلى أكثر من عشرة شلنات، فزاد جاد راتبه ووعده بزيادة أخرى.

وقفت عربة أمام الكافيه، عرفها الجميع، عليها علم الجزيرة، إنها تابعة للملك، هرع جاد إليها، نزل منها مستشار الملك، دخل وجلس إلى الترابيزة، ولم يطلب أي مشروب، لكنه طلب الفتى نور، وجاء نور وجلس إليه وجاد يقول لنفسه: - الكل يريد نور، لقد أدمنه الجميع، الكل مرضى بنور، لقد وصل صيته للقصر، أجمل ما في القصة، أن نور يعمل لديه هو.

نظر المستشار للفتى، فهو لم يره من قبل، وكل ما قاله للملك كان كلام العم زين، فرأه وسيم جدا وبعقله وخبرته، أدرك أن هناك أمورا سوف تتطور بين نور ورنا، ومع كل امرأه تراه: - أنا مستشار الملك، والموضوع بمنتهي الاختصار الملك يطلبك للقائه، وهو وافق على مشروع تعليم الأولاد القراءة والكتابة للغة العربية، فالإنجليزي موجود بالجزيرة.

- وأنا تحت أمره.

تحدث المستشار مع نور في كل شيء، وأنه سيبدأ مع أولاد العائلة المالكة، وأيضا أبناء الجزيرة، وغدا سيرسل له العربة قبل الغروب للقاء الملك، وأثناء جلوسهما اقتحم الكافيه رجال الوزارة، يسبقهم في الاقتحام رجال الشرطة، انتفض جاد والعمال من منظر الاقتحام، وحاول الاختباء لكنهم أمسكوا به، وتقدم منه كبير رجال الوزارة،

وقبل بداية إحصاء عدد الكراسي، أشار جاد إلى المستشار الذي وقف متعجبا من طريقة الاقتحام، فهرع إليه المسئول: - أهلا سيادة المستشار.

- أهلا بك، لماذا الاقتحام بهذه الطريقة، لن يهرب منك أحد؟

- هل جاد صديقك؟

- لا، ولكن هذا الفتى نور يعمل هنا بالكافيه، وهو صديق الملك، وأخاف أن ينقل ما حدث لجلالته.

انزعج المسئول، ونظر لجاد، والفتى نور، وقال: - أنت لك الأمان، ولك الإعفاء، من أﷺ الملك وصديقه.

وخرج وخلفه حاشيته، وسط تصفيق الجميع للمستشار ولنور صديق الملك، خرج المستشار وهو يؤكد على نور موعد الغد، واحتضن جاد نور، وأعطاه مائة شلن وقال له: - اشترى طقم ملابس للقاء الملك غدا.

(١٧)

وقفت عربة القصر أمام الكافيه، فتح السائق بابها لنور، جلس نور وأغلق السائق الباب، وانطلقت الخيل بسرعة، نظر نور لما يحدث له، وأن الأحداث تدفعه دفعا، إنه يشبه اندفاعه في طوافة حول الكعبة، مندفعا وسط طوفان الناس، لا يستطيع الوقف، فلو وقف ستهرسه الأقدام ويموت، كذلك هنا فالحياة تسير به بسرعة، وهو لا يسير بها أو يسير فيها، فالأحداث تجرى به، ولو رفض قتل، إلى أين تسير به الأحداث لا يعرف، لقد عرف الآن ما معنى أن الإنسان مسير لا مخير في أشياء مصيرية، فهو هنا على الجزيرة مسير فقط، ولا خيار له مطلقا، لأنه لا يحب أن يختار الموت، ولولا أن الله مَنَّ عليه بهذا الجمال لمات جوعا، وما لفت أنظار الناس إليه، ولا جذب حبهم إليه جذبا، وسأل نفسه: أين الأميرة الجميلة؟ أين من دق قلبه لها؟، إنه لأول مرة يعرف معنى الحب، ويتذوق حلاوة عينيها، وينشي بنظراتها ونقاء قلبها، ويرى أمام عينيه خمر شفتيها، وإن لم يتذوقها، لماذا لم تأت إليه كما وعدته يوم الحفل؟، ولماذا تحولت دفة التعليم إلى الملك بعد أن كانت بيديها، إنها فكرتها من الأساس، أيقظه وقوف العربة، ففتح السائق الباب، ثم نزل نور ودخل القصر، ما هذا

الجمال؟، إنه قد رأى القصر من الخارج يوم الحفل، لكنه من الداخل مثل قصور ألف ليلة وليلة التي قرأ عنها.

وجد نور نفسه بين يدى الملك، إن ما يحدث له لا يصدقه عقل، سيقابل الملك، إنه لو حلم بهذا الأمر ما صدقه، وراه الملك عن قرب، فرأى إنسانا وسيما جدا مثل الملائكة الذين يصفهم الشيوخ، فعرف لماذا أحبته الفتيات، وسعد بصداقته الشباب، ليروا لوحة شديدة الجمال، وتذكر حديث رجل المخابرات عن نور، إن أصحاب المواخير والنَاَيْتْ كْلَوبْ قد عرضوا عليه العمل معهم، لمجرد أن يكون بالصالة مشرفا على الجرسونات، ليراه الجميع ويجذب الرواد، بأجر يومي قيمته عشرين شلنا، لكنه رفض، لأنه نظيف، فقد فضل العمل عند جاد بنصف المبلغ كرئيس جرسونات أيضا، وكان سببا في ازدحام الكافيه، تبسم الملك اعترافا بجمله سمعها، أن للجمال سلطان وسطوة، فهو يجذب الأنظار والانتباه إلى صاحبه، والراحة في التمتع بالمشاهدة، وبعدها يتوقف على صاحب الجمال، لو كان ذكيا ومتعلما ولماحا لاستغل انجذاب الناس له، وإلا صار لوحة جميلة تشاهد فقط، وليس لها أي دور أو حصاد لهذا الجمال، وقال أيضا يبدو أن هذا الفتى سوف يحصد الكثير، فالملك كان يملك ذكاء جيدا، لكن مشكلة انجاب الولد، حبسته حتى عن نفسه، فأشار الملك للمستشار أن رأيه

في تقريبه منه وحصد حب معجبيه رأي صائب، وقرر أن يأخذه معه بجولاته في الجزيرة ليحصد الهتاف والإعجاب بدلا من الصمت الذي يلاقيه، وتحدثا في كيفية توجّيه التعليم في الاتجاه الصحيح، وكيف يبدأ، فكل شيء تم الإعداد له، وسوف يبدأ بأولاد العائلة الملكية، يوم للأطفال ويوم للشباب، وأيضا من يريد من الكبار فلا مانع، ويكون العمل بعد الظهيرة، ولمدة ساعتين في الحصة، وتعهد المستشار بتجهيز أدوات الدراسة خلال يومين، كما طلب نور منهم، وأبلغه الملك أنه من اليوم هو مستشار التعليم وفاجأه بالمرتب، ألفين شلن شهريا، كاد نور أن يجن من الفرحة، وهم للمغادرة بعد أن رتبوا كل شيء، وسلم على الملك وقبل يده، واتجه للخروج، فجأة دخل رئيس الشرطة صارخا: - أغثنا يا جلالة الملك.

هب الملك واقفا: - ماذا حدث؟ انطق.

- قوانين الوزير الأخضر وجبروت رجاله تسببت في مظاهرات قبيلة الزرق.

- ماذا فعلوا؟

- أحرقوا دار الشرطة، وأفرجوا عن رجالهم الذين في الحبس، والمظاهرات مشتعلة واشتعلت الجزيرة، فأشعلوا النار في محلات الخضر وبيت الوزير ورجاله.

- وما هي القوانين الجديدة؟

قال المستشار: - إنها قوانين صعبة جدا على قبيلة الزرق، أما قوانين قبيلة الخضر فهي تقريبا بربع القيمة.

- إذن يعزل الوزير ورجاله فورا، وتتم الدعوة لاجتماع فورى للمستشارين، (ونظر الى نور) أنت كذلك مدعو للاجتماع، فأنت من الآن مستشارا، وستحضر بأول مرة مع المستشار ريكو، أحضره معك يا ريكو، ثم بعد ذلك ستحضر بصفتك (موجها كلامه لريكو) أعلن للجميع عزل الوزير، وجهز مسكنا وعربة بالسائق لنور، هيا نفذ الأمر.

خرج الجميع لتنفيذ أمر الملك، لكن نور الذي دخل القصر كمواطن غريب، ها هو يخرج وهو مستشارا للملك.

سارت العربة بنور في طريقه إلى الكافيه، وكان السائق يتفادى تجمهر الشعب في شوارع الجزيرة، كمحتجين ومتظاهرين على ما فعله الوزير الأخضر، فالحرائق في كل مكان والقبيلتان في صراع ضد ببعضها البعض، والشرطة تفصل بينهما وهم يصيحون: - لقد تم عزل الوزير وحبسه، كل يعود إلى بيته، ومن سيتم القبض عليه سيتحمل تكلفة إصلاح التلفيات.

رقص الناس مهللين حينما علموا بعزل الوزير وحبسه، وبدأت الأمور تهدأ شيئاً فشيئاً، وصل نور إلى الكافيه، فوجد أمامه تجمعا كبيرا، وقد أغلق جاد باب الكافيه الداخلي، وجلسوا جميعهم بالحديقة، فقد تحطمت المقاعد في المعركة المتبادلة بين القبلتين، فنزل نور وصاح في الناس: لقد تم عزل الوزير وحبسه، واليوم سيعقد اجتماعا لتعيين وزير جديد.

هلل الجميع، وما إن علم رامي بالأخبار الجديدة، وأن صديقه نور أصبح مستشارا للملك حتى رقص، وكذلك جاد، وقال جاد لكل من معه: - لقد أصبح لنا رجل بالدولة.

أطلقت زوجته وابنته الزغاريد، ووقف جاد يصيح بأعلى صوته ليسمعه أفراد الخضر الواقفين أمام الكافيه ليرهبهم: - نور هو مستشار الملك، من يقف هنا، أو يحاول إتلاف أي شيء سيتم إبلاغ الملك وهو من سيعاقبه.

انسحب الناس من أمام الكافيه، وسط سعادة الجميع بنور وما وصل إليه من منصب مرموق.

(١٨)

حضر نور أولى جلساته الرسمية مع الملك، فقد نال شرف لقاء الملك مرتين في يوم واحد، المرة الأولى نال فيها الوظيفة الجديدة كمستشار، وهذا حلم لم يجرؤ أن يحلم به، وجلس المستشار نور وسط رجال الدولة، واقتصرت الجلسة على المستشارين وعددهم ستة، ومعهم عم الملك الأمير زين حكيم الجزيرة، أما ابنه الأكبر الأمير جاك، فكان مستبعدا عن جلسات الملك، وعن المناصب أيضا، لأن الملك يعرف أنه الوريث الأول للحكم، فكان يكرهه، ويحاول جاهدا إنجاب ولي للعهد، وقرر بينه وبين نفسه إن لم ينجب الولد، سيجعل ولاية العهد لابنته الكبرى الأميرة مايا، وسوف يغير دستور الجزيرة كما غيره والده من قبل من أجل توليته هو للحكم بدلا من عمه الأمير زين، فكل أولاد العم يريدون الزواج من ابنته مايا، وأولهم الأمير جاك لكن الملك لم يعلن قبول أحد منهم، فهو يعرف جيدا أنه عند الإعلان عن ولاية العهد لها، سيتقاتل عليها أولاد العم ليكون لمُلك لهم، فعليه ألا يكف عن محاولة إنجاب الولد أولا ثم يرى ما تُسفر عنه الأيام.

قرر نور أن يجلس كمستمع فقط، ولا يبدي أي رأي قد يكون ضد رأى غيره فيخسره، وحتى لا يكسب عداء أحد دون قصد منه، فهو

لن يفرط فيما كسب، ولابد أن يسمع الآراء وفيلترها، حتى يعرف ميول من حوله، إنه لا يعرف منهم سوى اثنين، المستشار ريكو، وعم الملك الأمير زين، فعليه الاستماع وكسب صداقه الجميع، فهنا التجاذب والتقارب بالآراء، وليس بالوسامة، غير أن المستشارين الستة ينقسمون لنصفين، كل ثلاثة من قبيلة، وهذه كارثة، فلن يتم حوار هادئ حتى نهايته، بدأ الملك الحديث متسائلا: - ما رأيكم فيما حدث؟، لقد عزلت الوزير وحبسته، حتى يهدأ الناس، ثم يتم الافراج عنه.

رد مستشار من الخضر: - لقد فعل ما فعل لجمع المال لمولاي.

- إنها ليست لي، إنها ضرائب ننفقها على الجزيرة.

- هذا ما قصدته يا مولاي.

فقال مستشار من الزرق: - إن ميزانه مائل، وضرائب الزرق أضعاف الخضر.

فتدخل المستشار الأخضر: - هكذا كان وزيركم السابق.

فاحتد المستشار الأزرق: - لا، لم يكن بهذا الكره والحقد.

صرخ الملك: - كفى... أنتم هنا للاستشارة لا للمصارعة.

تدخل عم الملك: - نعود إلى ما قبل هذا الوزير، أي للوزير السابق فقد كان يدير الجزيرة جيدا، نعم كان متحاملا على قبيلة الخضر، لكن ليس بنفس طريقة الوزير الأخضر.

ابتسم مستشارو قبيلة الزرق في سعادة بعودة الوزارة إليهم، لكن ظهر الغضب من جانب مستشاري الخضر، فرد أحدهم: - لكن هذا العام هو دور قبيلة الخضر.

فرد عم الملك: - نعم، ولكنه أشعل الخلافات بالجزيرة، لقد أحرقوا دار الشرطة ومحلات الزرق، بخلاف القتلى الذين بلغ عددهم أربعة، اثنين من كل قبيلة، هل تريدون تدمير الجزيرة لكي تحكموا؟

صمت مستشارو الخضر خوفا على منصبهم، فكل منهم يتقاضى خمسة آلاف شلن شهريا، ويعيش حياة الأمراء، فلتحترق القبيلة كلها أمام المصلحة الخاصة، فرد الملك بذكاء:

- نعيد الوضع لما كان عليه قبل هذا المجنون الذي تسبب في إشعال الفتنة وحرق الجزيرة، ثم نختار الوزير الأخضر بعد ذلك بعناية.

تابع نور الحوار جيدا واستوعب الدرس، مستشارو الملك من القبيلتين، وكل منهم يريد مصلحة قبيلته، لكن إذا تعارضت مع مصلحته الشخصية، فمصلحته الشخصية هي الأهم، والمستشار ريكو

من الزرق، فهو قريب إلى قلب نور، لأن رامي الذي يستضيفه من الزرق وكذلك جاد، فأصبح بينهما صداقة وتآلف، بخلاف كونه المستشار الأول للملك والمقرب له، بل يعتبر رئيس المستشارين، وإن لم بعلن الملك ذلك حتى لا يغضب الخضر، فوجه الملك كلامه للمستشار ريكو: - هل أعددت مسكن المستشار نور والعربة الخاصة به؟

- نعم، تم الأمر يا مولاي وغدا يستلمهما.

فتحدث الملك وفاجأ العم زين، وأراد ذلك لينهي أمر خوفه من أن يكون هناك علاقة إعجاب أو حب غير معلن بين نور والأميرة رنا، لأنهما كانت يجلسان جنبا إلى جنب في حفل تتويج الوزير، فأراد أن يكون هذا الحوار الآن، وأمام نور بعد كل الهبات التي منحها له الملك: - أمير زين، متى سنعلن زواجي من الأميرة رنا ابنه عمي.

اسقط في يد زين، فلم يستطع إلا الموافقة: - الموعد الذي يحدده مولاي؟

- إذن الأربعاء القادم، أي في مثل هذا اليوم.

- أمرك يا مولاي.

كان الملك ينظر نحو نور نظرات غير مباشرة بطرف عينيه، وهو يكلم عمه زين، ليرى تأثير طلبه للزواج على نور، لكن نور يملك عقلا راجحا وأعصابا من حديد، ومن كانت رأسه الثمن لا يبدي أدنى اهتمام لما يقال، فحينما قام الجميع للانصراف قام معهم، وبارك للملك على تحديد موعد الزواج مثل باقي الحضور.

انطلقت العربة بنور بعد الاجتماع إلى بيت رامي، كان شبه مغيب، لقد انكسر شيء كبير بداخله، وراح يهذي: - لماذا قابلت رنا يا رب إن كنت سأفقدها بهذه السرعة؟، لماذا أحببتها؟ فقد عشت حياتي أحصد إعجاب الجميع بوسامتي وأنا خالي القلب، ماذا أفعل؟ فهي ستتزوج، لكننا مجبران على الموافقة، لو كنا في مكان آخر لهربنا إلى أي دولة أخرى وتزوجنا، لكن هنا لا مهرب، ثم إنها السبب فيما وصلنا إليه، إنها بتخطيطها أدخلتني من باب التعليم، هي كل حياتي، وقد فارقت حياتي، لذلك لم تأت إلى الكافيه لنلتقي، هي كانت تعلم بخبر الزواج وأخفته حتى لا تصدمني، ووالدها وافق وهو عم الملك، ماذا تفعل أنت أيها الوحيد؟، يا غريب الدار، لقد نزلت كلمة النهاية على أجمل أحساس وشعور.

أيقظه صوت السائق وهو يفتح الباب: - وصلنا يا سيدي.

نزل، ودخل الغرفة صامتا، فسأله رامي الذي كان بانتظاره.

- لماذا تأخرت يا سيادة المستشار؟

- الملك أعلن اليوم زواجه من الأميرة رنا.

نظر رامي إليه ورأى الحزن باديا في عينيه الجميلتين فأراد أن يخفف عنه ويمازحه: - إنها فتاة واحدة فقط قد افلتت منك، وبنات الجزيرة ينتظرن منك نظرة.

- لكني أحببتها.

- لكنه الملك، والجزيرة ما هي إلا سجن لمن فيها، لا مهرب، وانت صاحب عقل، هل تناولت العشاء مع الملك؟

- نعم، قبل الاجتماع

- إذن ننام، فأمامك عمل كبير غدا أيها المستشار الوسيم.

(١٩)

أيقظ رامي صديقه نور في لهفة، فزع نور: - ماذا حدث؟

- زوجه جاد أرسلت سائقها بالعربة ليأخذك إليها فورا، إنها تريدك، هيا.

- الوقت ما زال مبكرا، والكافيه لم يبدأ العمل بعد.

- لابد أن هناك شيئا هاما.

- إذن هيا لنذهب معا.

- الوقت مبكر بالنسبة لي، وأنت لديك عملك الجديد، أنا سأذهب في موعد العمل.

- أنت ستعمل معي، وسأرتب هذا مع المستشار ريكو، فجهز نفسك.

- جهز نفسك أنت، السائق ينتظرك.

استقبلت مسز جاد نور بابتسامة هادئة لتقلل انزعاجه، وجلسا إلى المنضدة، وراحت تحكي له عن سبب حضوره، وهو أن الأميرة رنا تريد لقائه، وقد حضرت مبكرا ولم تنزل من عربتها، وقالت أن نور

يعلم أن زواجي من الملك الأسبوع القادم، وهي تحت المراقبة من رجال الملك، لذلك ستستقل أنت عربتي، لأنهم يعرفون عربتها، وستجلس بها وتنزل الستائر حتى لا يراك أحد، ولا تنزل من العربة أو يلمحك أحد، وسيمر السائق بالعربة على بيت صديقتها، فهي تنتظرك هناك، ما أن ترى وصول العربة، ستنزل إليك، وستذهب بكما العربة بعيدا عن الأعين لتتحدثا سويا حديث الوداع، وتعودا ثانية لبيت صديقتها، لتستقل عربتها، وتعود لقصرها، لقد وضعت الأميرة تلك الخطة لخوفها عليك، وعلي نفسها، فكن حذرا، فالخطأ بموت، فانطلق نور بالعربة إليها وكله شوق.

أقبلت رنا متخفية، وقد غطت وجهها بطرحة حتى لا يتعرف عليها أحد ولا حتى السائق، وفي سرعة دخلت العربة وأغلق نور الباب، والستائر مسدلة، وما أن التقيا حتي رفعت الطرحة، وتلاقت الأعين وتلامست الأيدي، حتى دخلا في عناق وتقبيل بلا ترتيب، فقد حدث من شدة الوجد وعنفوان الشوق، ونزلت دموع رنا، وقال نور: - كيف أعيش بدونك؟

- ستعيش، وكذلك أنا سأعيش، إنها الحياة وأنت صاحب عقل راجح، لو كان هناك طريقة أخرى لسلكناها.

- أعرف، فهذه الجزيرة سجن بلا أسوار، سوره هو البحر، لا بديل عن الجزيرة سوى الموت.

- أردت أن أقول لك إننا سوف نلتقي في القصر كثيرا، فأنت الآن مستشار للملك، وحضورك بالقصر سيكون كثير، هذا بخلاف وجودك في حديقة القصر لتعليم الأولاد، فكن حذرا وتحكم في عواطفك إذا رأيتني أمامك.

- أفعل، ولكن ما فائدة الحياة بدونك؟ وما طعمها بعيدا عنك؟

- تزوج يا نور، لابد أن تعيش حياتك، فأنا زواجي إجباريا، فهو زواج سياسي لصالح والدي وأخي، وللملك من أجل الولد.

- أنا لأول مرة في حياتي أعرف معنى الحب، لماذا تقابلنا إذن؟! هل لنفترق؟! لماذا أحببتك؟ هل ليذهب كُلٌّ منا في طريق؟

- كل النساء اللاتي حولك، ولم تجد من تحبها كل هذا العمر أيها الوسيم؟

- أنت من حركت قلبي وكل حواسي، لم أكن أتوقع أن أقع بهذا الشكل في الحب.

- وأنا أيضا، عشت حياة الأميرة، الكل يتمنى ابتسامتي له ويهابني، فأنا الإمارة، وأنت أمير الوسامة.

- لقد كان أصدقائي في مصر ينتظرون ليروا من التي ستحرك قلب الولد الثقيل.

- ماذا تعني هذه الكلمة؟

- في مصر توجد أغنية للشاب الجميل الذي تقع البنات أسيرة وسامته، يسمونه الولد الثقيل، لأنه لا تحركه أي بنت، فهو ثابت ويحركهن جميعا.

قالت رنا وهي تضحك: - لكنك وقعت بالحب، وأصبحت خفيفا.

- هل حكم علينا بالموت دون أخذ رأينا؟، فالمحكوم عليه بالإعدام يسألونه ما هي رغبتك الأخيرة؟

- لهذا قابلتك، فكن شديدا وقويا، لأن أي خطأ نتيجته الموت، ولن نتزوج ولو لساعة قبل الموت.

- لماذا جئت إلى جزيرتكم؟، لماذا قابلتك؟، لأحبك؟، ولماذا أحببتك؟ لنفترق؟، لا أستوعب ما يحدث.

- أنت الآن رجل دولة، فكن كذلك.

- أنا الآن محطم، لا أريد أن أكون رجل دولة، لا أريد سواك.

- لقد وصلنا، يا نور أنت حبى الوحيد، وسوف أرتب ما لم تتخيله لتكون قريبا وأراك فقط، وهذا يكفيني، فزواجي من الملك مكرهة عليه، ووالدي يمكنه الرفض لكن الثمن عزله وكذلك ضياع أسرتي.

- ماذا ترتبين؟

- دعها للظروف، لكن احذر نانا.

وقفت العربة، ودق السائق على الباب ليخبرهما بالعودة لبيت صديقتها، وذهب لمكانه خلف الحصان، وفتح نور الباب، وسلما وتعانقا ثم افترقا.

عاد إلى الكافيه، وقد ظهر على وجهه الأسى، أقبلت إليه مسز جاد وقد رقت لحاله، فقالت له:

- اسمع يا نور، أنا مثل أمك، أنت الآن رجل دولة، كن على هذا المستوى، فلا عودة للوراء، الفتاة ستتزوج، عش حياتك، ولابد أن

تعرف إن عودتك لبلدك صعبة، بل مستحيلة، فحياتك بيننا، فعشها كما يجب، وحافظ على مكتسباتك.

- أفعل إن شاء الله، هل يمكن أن أشرب قهوة؟

- ممكن بالطبع، ولكن بعد الإفطار، اليوم هو أول يوم لك بالتعليم، لابد من الغذاء.

ابتسم نور، وذهبت مسز جاد لتحضر الفطور.

وقفت عربة أمام الكافيه تحمل شارة القصر، ونزل منها السائق، وترجل إلى نور الذي كان يجلس مع جاد وزوجته، فقال السائق: - أنت المستشار نور؟

- نعم.

- هذه عربتك وأنا السائق، والمستشار ريكو ينتظرك ببيتك الجديد لاستلامه.

ثم أمعن النظر في نور وقد تعجب من وسامته المفرطة فقال: - سيدي، هل أنت بشر مثلنا؟

ضحك الجميع، وذهب معه نور.

(٢٠)

وقفت عربة نور أمام منزل جميل مكون من طابقين يعلوه سقف هرمي للحماية من أمطار الجزيرة الغزيرة، وأمامه حديقة كبيرة بسور ارتفاعه حوالي متر ونصف من أشجار الزينة، والباب يجلس أمامه حارس، ومن باب الحديقة إلى باب البيت تكعيبة من أشجار العنب بامتداد حوالي عشرة أمتار هي عرض حديقة البيت، أحس نور بسعادة طاغية، وسار في هذا الممر حتى دخل البيت، فوجد بانتظاره المستشار ريكو، ومعه شخص آخر قد راه من قبل، فأعمل عقله وتذكره، إنه الوزير الأزرق الذي سلم الوزارة للوزير الأخضر، سلم نور على المستشار والوزير الذي معه، وقدمه المستشار ريكو إلى الوزير: - نور، المستشار التعليمي للملك.

ثم متحدثا لنور: - مستر ماكس الوزير الأزرق.

نظر الوزير إلى نور مبتسما من فرط الوسامة التي تنير وجه الفتى، فهو مثل باقي سكان الجزيرة، لم يخرج منها ولم يرى هذه الوسامة من قبل، وقال في نفسه: إن نساء الجزيرة لم يرى فيهن واحدة تقترب من هذه الوسامة. فقال مازحا مع نور: - أنت أتيت إلى جزيرتنا من البحر أم من السماء؟

فضحك الجميع من مزحة الوزير ماكس، وقال المستشار ريكو: أن ماكس هو من اختار هذا البيت، واختاره بجوار السوق، مكان مقر تعليم أولاد الجزيرة حتى لا يضيع الوقت في المشاوير، وطريقة التعليم الجديدة من فصل وسبورة وديسكات، فهي جديد علينا فهنا التعليم نظام الكتاتيب مثل تحفيظ القرآن في الجوامع الأربعة، وهو من جهزه واختار الحارس، والخادمة التي ستلبى طلباتك وتطهي لك الطعام، وإن ايجار البيت وراتب السائق والحارس والطاهية يتكفله القصر، وهذا نظام الملك مع مستشاريه، دار حوار بين الثلاثة وقال له الوزير ماكس: إنك يا نور بوسامتك هذه، وجمالك الصارخ هذا، تجعل كل من يتعامل معك يحبك، ويتمنى أن يكون صديقا لك، وأنا وقعت في حبك يا صديقي، وأطلب منك أن تكون مساعدا لي في الوزارة إن لم يكن لديك أي مانع.

ابتسم نور وقال له: - أنا في خدمتك وطوع أمرك، وبأي وقت تحتاجني ستجدني.

بدأ الحوار مع المستشار ريكو، فقال له: أنا في حاجة إلى مساعد، وأريد أن يكون المساعد الخاص بي هو رامي، فهو يفهمني ويفهم طريقتي. فكان رد المستشار أنه موافق وسيكون راتب رامي ثلاثمائة

شلن، فطلب منه نور أن يزيد المبلغ إلى خمسمائة شلن، فوافق، وقال له:

- يعمل معك من اليوم إن أردت، وهيا لنذهب إلى القصر لتبدأ الحصة الأولى كما تسميها.

أعطاه المستشار ريكو مبلغا من المال، ليشتري بعض الملابس التي تناسبه كمستشار للملك، ومن أجل الحصص الدراسية، ثم ذهبا إلى القصر.

عاد نور من القصر إلى الكافيه، فوجد صديقه رامي ينتظره، وجاء جاد وانضم إليهما، وفجر نور المفاجأة لصديقه رامي، بأنه أصبح المساعد الخاص به في عمله الجديد، وبراتب قدره خمسمائة شلن، مما جعل رامي يصرخ من السعادة، فنظر جاد إلى نور وقال له: - هكذا ستكون وظيفتك الجديدة سببا في فقد الكافيه معظم رواده.

طمأنه نور بأن السهرة ستكون عنده في الكافيه يوميا، حتى لا يخسر رواده، بل يستطيع تعويض ما يفقده نهارا بما سيكون في السهرة، فقام جاد وترك الصديقين يتحدثان، فسأله رامي:

- ماذا فعلت في يومك الأول في تعليم الأولاد؟

قص عليه نور أن الأولاد جاءوا إليه في الفصل الدراسي الذي تم تجهيزه، وجاء من بنات جلالة الملك عشرة، وهن في أعمار تتراوح بين خمس سنوات وحتى اثنتي عشرة سنة، وكذلك أحفاد الأمير زين من بنين وبنات، وكان العدد ليس بالقليل، فقد امتلأت الغرفة بالطلاب، وغدا سيكون اليوم الخاص بالشباب، وستكون معي، وأخبره أنه سيعيش معه في بيته الجديد، لأننا لا نستطيع أن نفترق، فقد أصبحنا إخوة، وحينما اعترض رامي، فكيف يترك والده ووالدته وأخته، فقال له أنت الآن في وظيفة مرموقة مع مستشار الملك شخصيا، وسوف تقيم مع المستشار، ألا يسعدك هذا؟، فضحك رامي وقال: يسعدني أن أكون معك في أي مكان، ولكن علينا أن نذهب إلى والدي، ونعلمه بما حدث ونستأذن منه.

فجأة وجد نور مس نانا تدخل عليه، فترك رامي الترابيزة، وذهب يحضر لها مشروبها، فجلست أمام نور، ونظرت إليه باسمة وهامت في عينيه الزرقاوين الجميلتين وقالت: - مبارك يا سيادة المستشار.

ابتسم نور لها وقال: - شكرا جزيلا سيدتي الجميلة.

- هل علمت أن الملك سيتزوج الأميرة رنا الأسبوع القادم؟

- نعم علمت، وهنأت جلالة الملك.

نظرت نانا إلى عينيه لترى انطباعه وهو يتحدث عن الأميرة رنا، لكن نور كان أذكى من أن يقع في ذلك الفخ، فلم يظهر عليه أي انفعال، فقالت: - هل أغضبك يا نور خبر الزواج هذا؟

- لماذا يغضبني؟ إنه خبر سعيد، فأنا أحد رجال جلالة الملك الآن، وصديق للأميرة رنا، إنها إنسانة ممتازة وخلوقة، وتساعد الناس وتحب الخير للجميع.

هدأت نانا نسبيا وقالت: - عموما والدي ينتظرك غدا، فمتى ستأتي إليه؟ قد يحتاج مساعدتك في الكمبيوتر، وأيضا في مشروع التعليم.

- أنا الآن أعمل مع الملك كمستشار للتعليم، كما تعلمين، وأقوم بتعليم بنات الملك، وأولاد العائلة ولا يوجد لدي وقت لأي عمل آخر.

- هو يريد التحدث معك، ما ردك؟

- أأتي إليه بعد حفل زفاف الملك، لأنني مشغول جدا يا مس نانا.

- وأنا في انتظارك.

(٢١)

نزل نور ورامي إلى السوق لشراء ملابس لنور تناسب مركزه الجديد، فاشترى أيضا ملابس لصديقه رامي، فهو مساعده الخاص، وكان حينما يرفض رامي أو يعتذر يقول له: أنها أوامر الملك، وأن جلالته من دفع ثمنها.

كان كلما مر بالسوق، وجد نظارات الإعجاب من النساء وكذلك الرجال، فكانوا يلقون التحية عليه، وكلما دخل محلا للملابس، طلب منه صاحب المحل أن يأتي لزيارته ويجلس معه ليتشرف به، وكان نور يعرف أن هذا من أجل استقطاب الرواد للمحل فكان يرد عليه قائلا: سأفعل إن وجدت الوقت لدي.

دخل إدارة السوق ليطمئن على غرف الدراسة التي سوف تستقطع من مبنى الإدارة، وأعطى أوامره أن مستر رامي الذي سيتابع معهم هذا الأمر ولابد من الانتهاء منه خلال أيام قليلة، وإلا أغضبتم الملك، واتجه هو ورامي إلى القصر في موعد الدرس بعد الظهيرة، ليبدأ درس الشباب.

لم يحضر أي شاب من شباب العائلة المالكة الدرس، فقد أحس الشباب بالخجل، وكل من حضر كان من الفتيات لما سمعوه عن

وسامة المدرس وعيونه الملونة، وكن من مرحلة ما بين الخامسة عشر حتى الخامسة والعشرين، وكانت أكبرهن هي الأميرة مايا ابنة الملك، وقد تفاجأ بها نور فوجدها تشبه الأميرة رنا بنسبة كبيرة جدا، ربما لأنهما من عائلة واحدة ودم واحد، وما إن رأته الفتاة حتى وقعت أسيرة الوسامة، وهامت به، وشردت في جمال عينيه، لتبدأ قصة جديدة، وأخطر ما فيها أنها ابنة الملك، وهذا ما أخافه وبث الرعب في قلبه، وصارح رامي بكل هذه المخاوف.

تزينت الجزيرة بثوب العرس، وفي ساحة الاحتفالات كان عرس الملك، وعلى المنصة جلس الملك وبجواره الأميرة رنا التي أصبحت الملكة رنا، واكتظت الساحة بالضيوف، وصعدت الراقصات إلى المنصة، وبدأ الحفل الأسطوري، فالتخلف عن حضور الحفل لكل رجال الدولة وكبار القبيلتين لا يجوز، جلست الأميرة مايا ابنة الملك بجوار العروس، فظهرت كأنها توأمها، وجلس كبار الدولة بالصف الأول وكان نور بينهم، فالفارق بين حفل تتويج الوزير الذي حضره نور للمشاهدة، وبين حفل العرس أياما بسيطة لا تتعدى الأسبوعين فقط، فقد تحول من متفرج إلى لاعب، أصبح من ضيوف الصف الأول، وصعد كل كبار الدولة للسلام على الملك والملكة، وصعد نور وفعل مثلهم، فقبل يد الملك وكذلك يد الملكة، لثم بشفتيه يدها،

فأحست رنا بقبلته، لأنها كانت مختلفة، وحدث شيء غريب، لقد مدّت الأميرة مايا يدها لنور ليسلم عليها، ولم تمدها لغيره، هو فقط من مدّت يدها له فسلم عليها، لاحظت رنا هذا، فأحست بالغيرة، ولكنها لم تظهر أي رد فعل، ولاحظ الملك أيضا ونظر لنور، وكان ذكاء نور أكبر، وحضوره ورده أسرع، فقال للملك: - إن الأميرة تلميذتي وأعلمها، لذلك تسلم علي كتحية وتفضل منها.

ابتسم الملك وقال: - أعرف أيها المعلم الوسيم، صاحب العيون الملونة.

أحس نور أن هذا الرد له معنى أخر، وبداخله مغزى كبير، كأنه يريد أن يقول إن الوسامة هي سبب السلام، وليس التعليم، ولكن عندما قالها، أحس بالخوف وتوقع نقل التعليم لمكان آخر، أو منع الأميرة من التعليم، أو رفده من الوظيفة، أو قتله فهي ابنة الملك، وما هو إلا غريب وحيد بلا عائلة ولا ظهر، ابتسم نور ونزل من على المنصة، لكنه لم يجرؤ على المغادرة مثل الجميع حتى يغادر الملك، وغادر الملك بعد وقت طويل، وكل هذا الوقت لم تنزل عين الأميرة مايا عن نور، فأحس بحدسه الذي لا يكذب أن هناك شيء ما سيحدث.

انتهى حفل العرس وغادر الجميع، والكارثة أنه حدث تحرش بين زعيمي القبيلتين، نتيجة مشادة كلامية، فالخضر يعنفون الزرق

لحصولهم على الوزارة، وهي من حقهم، والزرق يقولون إنها أوامر ملكية لفشلكم في القيادة، فأنتم فلاحين متخلفين، فرد الخضر بل أنتم سماكين و(الزفارة) طبعكم، كادت المشادة أن تصل للتشابك بالأيدي، لولا تدخل الناس والفصل بينهم ومغادرة المكان.

غادر نور وهو يطلب من الله العون والستر في أمر مايا الذي أتاه فجأة دون سابق إنذار، فلديه إحساس أن الجزيرة ستشتعل بعد هذا التشابك، فطلب من السائق التوجه للبيت، وقال لرامي لا داعى للكافيه اليوم، ربما تحترق الجزيرة نتيجة تلك الخلافات، وأكبر دليل هو التحرش بين قطبي القبيلتين، وأخفى نور السبب الحقيقي الذي أصابه بالقلق، رغم أن رامي يشعر أن صاحبه ما زال يعاني من سهم الهوى، وأثناء عودتهم وجدوا تجمعات للخضر تتجهز، فأشار رامي إليهم، وقال لنور: ستشتعل الليلة.

(٢٢)

استيقظت الجزيرة على صراخ ومناوشات بين القبيلتين، فالحرائق في كل مكان، وتدمير محلات القبيلتين، فكل قبيلة قامت بإتلاف محلات القبيلة الأخرى، وسقط جرحى كثيرون، كر وفر بين أفراد القبيلتين، وتدخل الشرطة السريع للفصل بينهم، وتمت الدعوة من الملك إلى اجتماع عاجل للمستشارين والأمير زين، وبحضور رئيسا القبيلتين فورا.

عقدت الجلسة بين يدي الملك الذي كان في قمة الغضب من الأحداث التي وقعت، وأنه أضطر لترك عروسه في صباح يوم الزواج، وصاح فيهم غاضبا: - ألا تنتهي هذه التصرفات المخزية؟، إلى متى سنعيش في هذه الهمجية؟ فماذا حدث لكل ذلك؟

رد المستشار ريكو: - كل شيء سيكون على ما يرام يا جلالة الملك، فالشرطة تقوم بالتحقيق.

تساءل الأمير زين: - من الذي بدأ؟

هنا صاح رئيسا القبلتين وكل منهم يرمي بالتهمة على الآخر، وكذلك المستشارين، فكل جماعة تابعة لقبيلة تنصر قبيلتها ضد الأخرى،

وساد الهرج والمرج، وتداخلت الأصوات، ونور صامت يسمع ويشاهد فقط، إلى أن صاح الملك صارخا فيهم: - أصمتوا.

صمت الجميع في طرفة عين، فطلب الملك من الحضور أن يقف كل منهم بالترتيب ليوضح وجهة نظره، ورأيه فيما يحدث، وأن يبدأ بالأمير زين، ثم مستشارين الخضر المطالبين بالوزارة، ثم مستشارين الزرق، فبدأ زين وقال: - إن الوزير وزير للجزيرة كلها، وعليه أن يراعي مصالح الجميع، واعترف أن الوزارة من حق الخضر، لكن وزيرهم هو من تسبب في المشكلة.

ثم تحدث مستشار الخضر قائلا: - الوزارة لنا هذا العام، وإن أخطأ الوزير فيعزل ويعاقب، ولا تعاقب القبيلة كلها بسببه.

وأيد رأيه المستشارين الباقيين، وقالوا: نعم، هذا رأينا أيضا.

ثم تحدث المستشار ريكو نائبا عن الزرق فقال:

- لقد عادت لنا الوزارة بتكليف من جلالة الملك، وذلك بعد فشل وزيركم، والذي تسبب في إحراق الجزيرة وقتل أربعة مواطنين.

فوافقه المستشارين الباقين من الزرق، فطلب رئيسا القبيلتين الكلمة، فوافق الملك، وأشار لكبير الخضر الذي قال:

- نحن أولى بالوزارة، فهي حقنا هذا العام، وكبير الزرق يقول إننا فلاحين، نعم نحن فلاحون، فنحن من نطعمكم، وبدوننا تموتون جوعا، ولابد من استكمال العام بوزارة من الخضر.

نظر ليرى رد فعل كلمته على الحضور، ثم جلس، ليبدأ كبير الزرق كلمته قائلا: - لن أتحدث كثيرا، فأثناء إدارتنا لم يحدث أي من أعمال الشغب، نحن متمرّسون على الإدارة، نفهم ما نفعل، وقد عادت لنا الوزارة لفشلكم فيها.

ضجت القاعة مرة ثانية بالمشاجرات الكلامية والاتهامات، فصاح الملك فيهم آمرا بالصمت، فلاذوا بالصمت، ثم قال: - وإن تم تعيين الوزير الأخضر مرة أخرى، وتسبب في كارثة فما العمل؟

رد مستشارو الخضر ورئيس قبيلتهم معا: - ما يحكم به جلالة الملك نافذ الحكم، وليس لنا أن نعترض.

وقتها تحدث المستشار ريكو موجها حديثه للملك:

- إننا يا مولاي لم نسمع رأي المستشار نور، ألا يجب أن يشاركنا الرأي، فهو يجتمع معنا؟

رد الملك قائلا: - نعم، يجب أن نسمع رأيه، وأن نعلم طريقة تفكيره، ربما أخبرنا بالفكرة السديدة.

أحسن نور أنه يجب عليه الحديث بعقلية ناضجة، وليأتي بفكرة جديدة ورشيدة، فهذه هي الفرصة الأولى والكبيرة كي يفرض رأيه، ويعلن عن كونه صاحب فكر ورؤية، فقال:

- دائما يا مولاي يتم تعين وزير واحد من قبيلة واحدة، فيأتي بالمشاكل للقبيلة الأخرى، لأنه رأي واحد يهتم بقبيلة واحدة، وذلك لأن القبيلتين مختلفتان في كل شيء، وبينهما العديد من الخلافات، لذلك أرى أن يتم تعيين وزيرين معا، وزير أزرق ووزير أخضر، في هذه الحالة لن يحدث أي من المشاكل، لأن كل قبيلة سيصبح لها وزيرا يعبر عنها، ويرعى مصالحها وترضى بحكمه.

صفق الجميع، وضحك الملك بصوت مرتفع قائلا: - هذا رأي سديد حقا، سيتم تعين وزيرين من الآن، الوزير الحالي الأزرق، ويتم اختيار وزير آخر من الخضر، وعلى زعيم الخضر ترشيح الوزير.

رد زعيم الخضر فرحا: - سمعا وطاعة يا جلالة الملك.

قام الجميع للانصراف، بعد السلام على الملك وتقبيل يده، وحينما حان دور نور، قال له الملك: - أحسنت يا نور، سأحتاجك كثيرا، وستكون من المقربين.

أثنت الجزيرة كلها على فكرة تعين وزرين من كل قبيلة وزير، فقد قضت على التحرشات بين القبيلتين، لكن هذا الحدث أغضب أخرين ممن ينتمون إلى معسكر الأمير زين، وهم زين نفسه، وأصحاب النجمة فهم نبع الفساد وأبالسة الجزيرة، فلم يتقرب إليهم طرف ليكسبهم ضد الآخر، فهم يمكرون على الطرفين، ويوهمون كل طرف أنهم معه ضد الآخر، أما الملك فكان أسعد من بالجزيرة بهذه الفكرة، فلن تحدث صدامات مرة أخرى، ولن تحترق الجزيرة ثانية بسبب أي وزير، فكل قبيلة لها وزيرها، وحدث تقارب كبير بين الملك ونور، فأصبح هو المستشار الأول للملك، وصار يطلعه على كل شيء ويأخذ برأيه في كل صغيرة وكبيرة.

(٢٣)

مارس نور عمله في تعليم أهل الجزيرة، وأصبح لديه مدرستان، مدرسة بقصر الملك للعائلة الملكية، وأخرى بالسوق لأولاد الجزيرة ولكل الأعمار، وبدأ الشباب يذهبون إليه، بعدما زال عنهم الحرج، وأصبح التعليم هاما للجميع وأصبح اسم نور علما بالجزيرة، وأحبه الناس لما يقدمه من خدمات، واهم خدمة أنه يعلمهم، ووسامته التي جعلت الجميع أسرى له، فكانت البنات تذهب إلى بيته لتراه وكان الحارس يبعدهم، وأصبحت الأميرة مايا ابنة الملك هب أول أسيرة له، فبكل يوم تتقرب إليه أكثر من اليوم السابق، وهو يخاف أن يصدها، حتى لا تكون سببا في تحطيم ما وصل إليه، فإن ادعت مثلا أنه تحرش بها، سيقتله الملك، فرغم أن الملك راها وهي تمد يدها لتسلم عليه، إلا أنها ابنته ومصدقة عنده عن الغريب، ورأى أن يكون مع الأميرة مايا بين الصد والقبول، لا يوافق ولا يرفض، فالشيء الأكيد هو أن الملك لن يوافق على زواجه منها، فمن هو ليصاهر الملك؟، فالوسامة شيء، والعائلة شيء أخر، وهو هنا على الجزيرة لا عائلة له، وان كان رامي وآدم كعائلته، فهم فقراء، والعائلة المالكة مليئة بالشباب، فعليه ألا يغضب الأميرة مايا وحسب، فكان لا يصدها ولا يقترب منها، يتركها هي تقترب أو تبتعد حتى لا يعاقب، وكان

الملك يرسل إليه عند وجوده بحصة القصر ليجلس معه، ويتجاذبا أطراف الحديث، وكان كل مرة يقترب من الملك أكثر حتى صارا أصدقاء.

أما عن رنا فمنذ أن تزوجت الملك من خمسة أشهر، لم يراها ولو لمرة، ولم يحاول أن يفعل رغم وجوده بالقصر، وعلم أنها حامل عندما أخبره الملك أنه ينتظر حدثا يتمنى أن يكون سعيدا ويأتيه بولي العهد، فدعا له نور بهذا حتى لا يجد نفسه مصطدما بالأمير جاك، وقد يبعده عما وصل إليه، وكان الملك يصحبه في كل تحركاته بالجزيرة، حتى يحصد هتافات المحبين له والمعجبين بوسامته والهائمين في لون عينيه ومستفيدا بآرائه، وهذا ما أسعد نور، وكان الملك يقول له إذا مر الموكب على أحد محلات أصحاب النجمة:

- إن أصحاب النجمة ميراث ثقيل على قلبي، واتمنى أن يزول.

حاصرت نانا صاحبة النجمة نور في كل مكان، فكان إذا ذهب إلى الكافيه وجدها، وعند عودته للبيت يجدها تنتظره، كان يحاول جاهدا أن يكون طبيعيا معها حتى لا تتحول إلى عدو له، فتارة يعتذر بكثرة مشاغله، وتارة أنه كان مع الملك، وقد كلفه بأعمال كثيرة، وسوف يذهب لوالدها فور الانتهاء من الأعمال، وببسمة منه لها كان يقضي على كل مخططاتها، وربما قبل يدها ليتخلص من إلحاحها، وكان وجود رامي منقذا من تطفلها، لتنهي حديث الغرام.

لم تجد الأميرة مايا سندا ومنقذا لها سوى الملكة رنا زوجة أبيها، ذهبت إليها، وطلبت أن تحدثها حديث الأصدقاء، فالسن واحد، وقالت لها رنا: - هاتي ما عندك كلي أذان مصغية.

أخبرتها إنها ضاقت ذرعا بنور، لا تعرف إن كان يحبها أم لا، إنه مثل الماء في تسربه منها، واختارتها لقرب سنهما، فوالدتها لن تفهمها، ولابد حسب العرف أن يبوح نور بحبه لها أولا، لا أن تبوح هي، لكن ربما لخوفه من كونها ابنة الملك، وأنها أحبته، وأنه مؤدب لدرجة مستفزة، فتخاف أن تبوح له بحبها، فتجبره على الموافقة، لكونها ابنة الملك ماذا تفعل، كيف تتزوج منه.

ابتسمت رنا، وضحكت في داخلها وكأنها تحدث نفسها: آه يا نور، من التي تراك وتقاومك، فكل من يراك يقع أسيرا لحسنك، ثم قالت لمايا، دعي لي هذا الأمر، وسوف أتمه لك على أكمل وجه، فابتسمت مايا وقالت: إنها لن تسألها عن الطريقة، المهم ان يحدث ما تريد، قررت رنا رغم غيرتها، أنه لابد وأن يتزوج، فمن حقة أن ينال هذا الشرف، بأن يصاهر الملك، ويصبح زوجا لابنته، فوضعه الفكري ومظهره يضعه في هذا المكانة، فما الحب إلا عطاء، وهي لن تكون أنانية، تريد كل شيء لنفسها، فلن يحدث ويرتبطا، إنها زوجة الملك، إنها الملكة، وهناك أحلام مستحيلة المنال، والعقل زينه الإنسان.

في جلسة رومانسية بين الملك والملكة رنا، قصت له ما دار بينها وبين ابنته مايا بكل صراحة، وسألته عن رأيه، وكان رد الملك مفاجأة لرنا، فقال ضاحكا: - أنا أعرف منذ يوم عرسنا.

- حقا؟ ولم تبد أي تصرف؟، إنني عندما قصصت عليك كنت خائفة على نور من جلالتك.

- إنه فتى مهذب ونظيف، وذو عقل راجح.

- لو طلب مايا للزواج ستوافق؟

- نعم، إنه بالنسبة لها رجل جميل، وبالنسبة لي عقل فذ.

- هل أرسل له مع إحدى بناتك أن يتقدم لخطبتها.، أم مع إحدى الخادمات.

رد الملك غاضبا: - لا، هذا مستحيل أن يعرف أحد أننا من طلبه للزواج، حتى ولا أخواتها، إن مكانة مايا من مكانتي، وهي عندي الكبيرة، ولن أحرجها أمام أحد، إنها فضلتك عن أمها، وأطلعتك على سرها، وهي أحسنت الاختيار، فلم تقل لي خوفا وحرجا.

- ماذا ستفعل إذن؟

- لا تخافي، واعتبري أنهما قد تزوجا، فأنا لي طريقتي، وسأجعله يطلبها، فقد اتضح أن مايا لها عقل كبير ومزاج أكبر وتقدر الجمال.

ثم انفجر ضاحكا مما بعقل وقلب ابنته وكذلك رنا.

(٢٤)

أنجبت الملكة رنا بنتا، فزادت بنات الملك أميرة جديدة، أحس الملك بظلام نفسي، وأيقن أن هذا نصيبه من الدنيا، وعليه التفكر والتدبير بناء على هذا الوضع، فقرر أن يعلن تنصيب ابنته كولي للعهد في أقرب فرصة تكون صالحة ومناسبة لهذا الإعلان.

طلب الملك عقد اجتماع فوري للمستشارين والأمير زين، فقد مر أحد عشر شهرا على تعيين الوزيرين، وحصيلة الضرائب خلالها كانت أقل مما كان يجمع في شهر من قبل.

بدأ الملك الجلسة غاضبا ومعبرا عن هذا الغضب بصوت مرتفع صائحا: - لماذا كل هذا الانهيار في تحصيل الضرائب؟ ومن أين نأتي بالمال لننفقه على الجزيرة وما يلزمها؟، فالتحصيل لا يساوي شهرا واحد مما كان يجمع من قبل، (ثم أردف ثائرا في مستشاري القبيلتين) ماذا ترون الحل؟ فكل وزير لم يقم بواجبه، وراح يحنو على قبيلته ونسي أنه رجل دولة، وأن الجزيرة في حاجة للمال للإنفاق عليها.

رد المستشار ريكو: - سابقا كان الوزير يترك قبيلته، ويتحامل على القبيلة الأخرى، فكل عام تتحمل قبيلة واحدة ضرائب الجزيرة.

قال الملك: - والآن كل وزير يحنو على قبيلته، والمحصلة صفر، فما العمل؟

رد الأمير زين: - نعود للنظام القديم.

فعقب ريكو: - ونعود للمظاهرات والحرائق والقتل؟

دار حوار كبير بين شد وجذب، وكل مستشار أصبح يدافع عن وزير قبيلته، تحول الحوار للدفاع عن الوزراء، بعد أن كان يدافع عن القبيلة، ولم يقتنع الملك بالمبررات رغم كثرتها، وكان نور يشاهد الحوار كعادته صامتا، فقال الملك نسمع لرأي نور قبل أن نعود للنظام السابق، فربما لديه الحل.

قال نور: - الأمر بسيط جدا يا مولاي، ويتلخص في كلمتين فقط، تبديل الكراسي.

نظر الجميع لبعضهم، فرد الملك: - ماذا تعني؟ وضح لنا.

- الوزير الأزرق يعين وزيرا على قبيلة الخضر، والوزير الأخضر يعين على قبيلة الزرق، وفي هذه الحالة لن يحنو وزير على قبيلته، لأنه وزيرا لغيرها، وهذا سيؤدي لما يفيد مصلحة الجزيرة.

ضحك الجميع وصفقوا له، وقال الملك ضاحكا: - أنت ثعلب يا نور، وسوف أمنحك مسئولية خزانة الجزيرة لتديرها بهذا الذكاء.

انتهي الاجتماع وغادر الجميع، وطلب الملك من نور الانتظار، لأنه يريد أن يعرف منه أخبار التعليم، فسأله الملك: - ما أخبار تلاميذك.

- إنهم على ما يرام.

- وأخبار بناتي؟

- إنهن يحصلن العلم بذكاء ملحوظ

- ومن أفضلهن.

- الأميرة مايا، فلديها ذكاء خارق، وحب للعلم والتعلم.

- إنها رفضت كل الخطاب، والآن تتعلل بالتعليم.

- إنها تتقدم بخطوات سريعة.

أخذ الملك يحاوره، ونور لا يعلم هدف الملك، فكان يرد بعفوية.

- لقد خطبها أولاد العم والخال والخالة وهي ترفض، حتى الأمير جاك طلبها أكثر من مرة لكنها رفضت.

- الكل يا مولاي يتمنى شرف مصاهرتك، وشرف قبول الأميرة له، فمن توافق عليه الأميرة ينال يوم سعادته، ورفعة شأنه.

- تقول إنها لم تجد من يحرك قلبها بعد، وأعتقد من ستوافق عليه زوجا سيتذوق المر منها.

- إنها الشهد يا مولاي، ومن تقبله فقد أقبلت عليه الدنيا.

- أهذا رأيك فيها؟ أنها الدنيا كلها؟

أجاب دون ترتيب: - نعم يا مولاي، فمن تقبله الأميرة، فقد ولد من جديد.

- كلامك معناه أنك تتمنى ذلك.

وجد نور نفسه لا يجرؤ على الرفض، ولابد من مجاراة الملك في الحديث فما هو إلا كلام: - ومن يرفض الجنة يا مولاي؟ بالتأكيد أتمنى.

ضحك الملك وقال: - أنت ثعلب يا نور، تلعب بالحوار لخوفك مني، عموما أنا موافق عليك كخطيب للأميرة.

- حقا يا مولاي؟

- وهل في هذا مزاح؟، أنا موافق على زواجك من مايا، لتولد من جديد، وتقبل عليك الدنيا.

قفز نور فرحا، وقبل يد الملك، وكاد أن يرقص، فأعلن الملك في القصر خطبة مايا إلى نور، وسط تهليل كل من بالقصر.

انتشر خبر الخطبة بالجزيرة كلها بسرعة البرق، وعرف الجميع من التي اختارها الفتى الوسيم، حلم بنات الجزيرة كلها، وقالوا هذه الوسامة ما يناسبها إلا ابنه الملك، فهو ملك الوسامة وهي ملكة الجزيرة، وفي أول حصة بعد إعلان الخطوبة بيومين، التقى نور ومايا وكان لقاء مختلفا عن ذي قبل، ورغم وجود بنات أخريات بالحصة، إلا أن النظرات والابتسامات قالت كل شيء، وعاد إلى بيته منتشيا، كما عادت مايا وكأنها طائر يحلق بجناحيه من فرط السعادة.

ذهب بعد الحصة هو ورامي إلى الكافيه، فكما أخبره رامي، أن جاد وزوجته وعمال الكافيه ينتظرونه للاحتفال بخطبته على الأميرة مايا، فوجد الجميع في انتظاره، وقد أقاموا وليمة وعلقت الزينات، واحضروا فرقة موسيقية واشترك الرواد في الحفل، وخاصة الفتيات، وكانت سهرة رائعة تنم عن الصداقة والحب له، فقد أحس الجميع أنهم هم من صاهروا الملك.

(٢٥)

دخلت نانا على والدها مستر جو صاحب النجمة في حالة انهيار عند سماعها نبأ خطبة نور والأميرة مايا، وقالت لولدها: أن نور قد ضاع من يديها بتلك الخطبة، ولابد أن يعلم الملك أنه كان على علاقة بزوجته رنا، ليأخذ عقابه، ابتسم والدها وقال لها حددي طلبك، ماذا تريدين؟، فلو علم الملك هذا سيقتل نور ورنا، وستخسرين نور، ونحن نكون من أفشينا هذه الأخبار، ولن يتركنا كذلك، لأننا نعرف السر، وربما يقتلنا أيضا، أو يطردنا من الجزيرة، فلو أردت قتله، فهذا سهل جدا، ندبر من يقتله، دون أن نلوث أيدينا بدمه، حددي ماذا تريدين، الزواج منه أم قتله؟، فقالت الزواج، فقال لها إذن اجلسي ونفذي ما أقوله لك بالحرف، وجلسا معا وراح يخطط لها، ويلقنها خطته الشيطانية.

دخل رامي على نور غرفته ليبلغه أن العم نينو ينتظره بالصالة، فاندفع نور في سرعة للقائه، سلما وتعانقا وجلسا يتجاذبان أطراف الحديث، وقال له نينو أنه متابع لكل أخباره السعيدة، وكان يشعر وكأنه هو من تولى هذه المناصب، وآخر الأخبار السعيدة تلك الخطبة التي تضعه ضمن أفراد العائلة المالكة، رد عليه نور أنه انتظره بعد هروبه من السجن، ولكنه تأخر كثيرا، فكان مبرره الخوف من القبض عليه، فقال: أنت الآن يا نور رجل دولة، ودائما حولك رجال شرطة، وهم يعرفونني جيدا، فلقائك فيه سجني مرة ثانية، ضحك

ووعده بأنه سوف يحصل له من الملك على عفو عام وابتسم نينو سعيدا، ودخل رامي عليهما، ليبلغه أن نانا بالخارج تريد مقابلته، ورفضت الدخول حينما وجدت نينو، وهي بالغرفة المطلة على الحديقة، حذره نينو منها، فعليه أن ينهي علاقته بها، فهذا أفضل له، فهي مثل أبيها حية سامة من ثعبان سام.

سألته وهي غاضبة: - أحقا ما سمعته، إنك خطبت الأميرة مايا.

- نعم، ألا تهنئنني؟

فردت غاضبة: - لكني أحبك يا نور، وأنت تعرف هذا جيدا.

- لا أعرف هذا، ولم نتكلم في الحب مطلقا، ثم إنني أحببت مايا وخطبتها.

- آه.. أحببت مايا مثلما أحببت رنا؟، أنت تصوب سهامك تجاه العائلة المالكة فقط.

- أنا لم أحب رنا، ولو كنت أحببتها لكنت تقدمت لخطبتها، إنها فقط ساعدتني مثلما فعلت أنت عندما جئت لتخرجيني من الحبس، إن ما تقولينه هذيان لا صحة له.

فقامت نانا لتخرج، ثم نظرت إليه بحنق وقالت: - مبارك يا نور، مبارك أيها الوسيم.

خرجت وأغلقت باب الغرفة وراءها، فما إن وصلت عند باب البيت في بداية الحديقة، مزقت ملابسها، وهرعت إلى عربتها الواقفة أمام البيت، وكان هناك مجموعة من الناس عددهم عشرة أشخاص أعدهم

والدها يقفون أمام البيت مع الحارس لرؤيتها وهي تخرج مهرولة وممزقة الملابس، فركبت العربة وانطلقت بها والجميع مندهشون مما يرون.

وصلت نانا إلى قصر والدها، وكان ينتظرها ليذهبا إلى قصر الملك مباشرة، تلتهم نور باغتصابها، كان ضمن خطة جو، أن يذهب لقصر الأمير زين ليأخذه معه، ولكن نانا أخبرته بما لم يكن يتوقعه، وأغضبه جدا، وهو كونها وجدت نينو يجلس مع نور، انزعج جو وفكر مليا، فهو لا يحب هذه المفاجآت التي ربما تفسد خططه، فلابد أن يختفي نينو، لأنه سوف يشهد بأن نور لم يلمسها، كذلك فعنده من الأسرار الكثير، أشار إلى الحرس وطلب منهم أن يجمعوا مجموعة من رجاله المخصصين لهذه الأمور، وأن يقفوا بالقرب من بيت نور، وما أن يروا نينو خارجا من بيته، فيخطفوه فورا ويذهبوا به إلى المخزن في المنطقة الشرقية، وهو مخزن الذهب سابقا، فهو المكان الوحيد الذي لا يعلمه أحد ويحبس به.

وجد الأمير زين ضالته المنشودة فيما أتى به مستر جو، فقد كره نور بعد إعلان خطبته على الأميرة مايا، وكان يريدها لابنه جاك، وقد تقدم لها أكثر من مرة ورفضته، ورفضه الملك لرفضها له، لذلك ما إن وجد جريمة الاغتصاب الملفقة بدقة، بين يديه جاهزة حتى رقص، فعقوبتها الإعدام أو الحبس لسنين طويلة، وبذلك يمكنهم الفوز بمايا، وبها يفوزون بالمملكة.

وقفوا بين يدى الملك، وقصت نانا القصة التي لقنها لها والدها، أحس الملك بخيبة أمل كبيرة في نور، وإن كان لا يصدق جو أو عمه الذي يتمنى أن يثب على الحكم ليأخذه لابنه، ولكن الملابس الممزقة وهذه القصة المحبوكة، جعل الملك يحس بغصة بقلبه، فربما تكون القرائن دليل نفي لا إثبات، فطلب من جو أن يأتي غدا، ومعه الشهود وسوف يستدعي نور، وستكون هناك مواجهة بينهم، ونادى الملك على الحاجب، وطلب منه اصطحاب نانا إلى طبيبة القصر للكشف عليها، والاحتفاظ بملابسها كاملة واستبدالها بملابس من ملابس الوصيفات حتى ينتهي التحقيق، وإثبات نتيجة الكشف الطبي.

خرج نينو من بيت نور، وعلى بعد خطوات هجم عليه خمسة أفراد، وقاموا بخطفه وتوثيقه ووضعه في عربة مغلقة، رأى حارس بيت نور ما حدث، فهرع خلف العربة لإنقاذ الرجل، لكنها انطلقت بسرعة فلم يصل إليها الحارس، وذهبت إلى مكان يعرفه نينو جيدا مخزن كنز الذهب، وأغلق عليه وتركوه تحت حراسة مشددة.

عاد الحارس بعد فشله في اللحاق بالعربة وانقاذ نينو، وقص ما حدث لنور، وحينما سأله هل تعرف العربة؟، أجابه أنه شاهد شارة النجمة عليها، فتوقع نور أن هذا بسبب معرفته لسر الكنز الذي سرقه جو، لذلك يريد الخلاص منه.

(٢٦)

بدأت أحداث جلسة المحاكمة، وحضر كل من دعاهم الملك، لحضور التحقيق والدلو بدلوهم فيه، وعلى رأسهم قاضى الجزيرة الذي سيدير الجلسة ويفصل فيها، كما حضر المستشارين، والأمير زين، وزعيما القبيلتين والوزيرين، ورئيس الشرطة، وحضر جو وابنته، لكن الجميع لا يصدق ادعاء جو وابنته، فهم يعرفون جو جيدا، فهو عبد للمال، وليس له صديق سواه، أما الشاب نور فالكل يحبه ويعرف أخلاقه، وما يقدمه للجزيرة، فكل من بالقاعة يحبه ويجله إلا اثنين فقط الأمير زين وجو، فنانا ذاتها التي تتهمه هذا الاتهام البشع تحبه وتريده، واتهمته لتناله، فربما يساومونه على حريته مقابل الزواج منها، كما اقنعها أبوها جو بذلك، وقبل دخول الملك القاعة تقدم جو من نور هامسا: - لو وافقت على الزواج من نانا، سأتنازل عن الاتهام.

فكر نور وقال له: - أنا موافق، فتنازل إذن.

ضحك جو قائلا: - انت تتعامل مع جو صاحب النجمة، التنازل لا يكون سراً بيننا، ولكن أمام الملك والجميع.

- لماذا أمام الجميع، وهل ما حدث من مكيدة كان أمام الجميع؟

- الجميع علم الآن بهذه المشكلة، فلابد أن يكون الحل أمامهم.

- انت من أذعته، وهذه مشكلتك.

سمعت نانا الحوار الدائر بينهما، ووافقت، لكن والدها رفض وقال: - من يضمن لي أنه بعد أن نتنازل يتزوجك؟، فوقتها لن نستطيع إعادة اتهامه، لأننا قد تنازلنا رسميا، ولأن الاتفاق بيننا سرا لا يعلمه أحد، فكوني ذكية.

نظر إليه نور في اشمئزاز وقال: - لن يحدث ما تريده، وأنا لست خائفا منك ومن اتهامك، وسينصرني الله عليك يا صاحب نجمة داود.

هنا أسقط في يد جو، ونظر له شذرا، وقال في لهفة: - أتعرف نجمة داود؟

- وأعرف الكثير، مما لا تتوقعه، فاسأل نينو الذي خطفه رجالك.

هنا أحس جو بخوف شديد، وهذا ما كان يريده نور قبل بداية التحقيق، حتى لا يكون جو كامل التركيز، فدب الخوف في قلبه، وقبل أن يحاول مهاجمة نور، دخل الملك وخلفه الحاجب يحمل ملابس نانا، وقف الجميع حتى جلس الملك، فأشار إليهم بالجلوس، وبدأت جلسة المحاكمة، وأعطى الملك الإذن للقاضي لبدأ التحقيق، فسأل القاضي الفتاة: - احك ما حدث لك، وكيف تم اغتصابك.

تدخل جو مسرعا فقال: - لقد اغتصبها نور بقلب بارد.

رد القاضي: - أنا أسألها هي، فلا تتحدث أنت إلا إذا سألتك.

ثم أشار إلى نانا فقالت: - لقد ذهبت إلى نور لتهنئته بخطبة الأميرة مايا، وقابلني بكل ترحاب، وراح يحدثني أنه يحبني، وأن خطبته من مايا من أجل المصلحة فقط، وأنه زواج سياسي، وبدأ يكلمني عن جمالي، ثم اقترب مني وقبلني، فرفضت هذا التصرف، ووقفت لأغادر البيت فهجم علي، وطرحني أرضا، وقيدني فحاولت مقاومته، لكنه شل حركتي تماما، ومزق ملابس، وحاولت كثيرا الخلاص منه، لكن لم استطع، فكان الصراع بيننا كبيرا، وكانت قوته أشد من قوتي، فضاعت مقاومتي وشلت حركتي تماما واغتصبني، وما إن تركني، حتى تركت البيت وهربت خارجة أستغيث، فركبت عربتي وعدت لبيتي.

رد نور بانفعال: - كل هذا كذب، أنا لم ألمسها قط، حتى إني لم أسلم عليها بيدي.

حاول جو أن يتباكى لاستعطاف الحضور فقال: - لقد استغل قوته كرجل، وهي فتاة ضعيفة، فاغتصبها.

أشار القاضي إليهم بالصمت: - ممنوع الكلام (ثم محدثا نانا) هل قمت بزيارته قبل ذلك؟ وكم مرة؟

- لقد زرته كثيرا، فهو يحبني.

- وهل حاول اغتصابك قبل ذلك؟

- لا يا سيدي، فهذه أول مرة.

- أيعقل أنه لم يحاول أن يغتصبك قبل أن يخطب الأميرة مايا، ويغتصبك بعد أن خطبها؟، ألا تعتقدين أن العكس هو الصحيح، والمقبول لتصديقه؟

صمتت وصمت الجميع إعجابا بالاستنتاج الرائع والسؤال الواقعي، فتلعثمت نانا وقالت: - لا أعرف، فهذا ما حدث؟

- يا حاجب، نادي شهود الإثبات.

دخل الشاهد الأول، فحذره القاضي من عقوبة الشهادة الكاذبة، لأن الشاهد الكاذب كالمشارك في الجريمة وعليه نفس العقاب، ثم سأله عن اسمه وعنوانه وعمله، ثم سأله فيما يخص القضية فقال:

- ماذا رأيت؟ وبالتفصيل.

- رأيت مس نانا تخرج مسرعة من منزل نور وملابسها ممزقة، وقد تعرى صدرها.

- هل رأيتها وهي تغتصب؟

- لا يا سيدي.

- هل كان أحد يجري خلفها؟

كان السؤال جديدا على الشاهد، لم يلقنه جو ما يقوله، فرد بعد توتر:

- لا يا سيدي.- صف لنا ملابسها الممزقة.

- كل ملابسها مزقت.

فأمر القاضي باستدعاء الشاهد الثاني، بعد أن يحتجز الشاهد الأول في غرفة بعيدا عن باقي الشهود، حتى لا يخبرهم بالأسئلة، وتم سؤال شهود الإثبات كلهم منفردين، وكانت نفس الاجابة، إلا بعض الاختلافات في الاسئلة التي لم يتوقعها جو، ولم يلقنها للشهود مثل: هل كان أحد يجري خلفها؟، فأحدهم قال: كان نور يجري خلفها، وقال أخر: كان رامي يجري خلفها، وقال ثالث: كانت الخادمة تجري خلفها،

أما عن سؤال: صف لنا ملابسها الممزقة، فقد اختلف الشهود أيضا في إجاباتهم، فمنهم من قال: كلها مزقت تماما، وهم الأغلبية، ومن قال: الجزء السفلي، ومن قال: الجزء العلوى، وكان القاضي يحذر كل شاهد من عقاب من يكذب بنفس عقوبة المتهم كمغتصب.

أمر القاضي الحاجب الإفراج عن شهود الاثبات، وأن ينادي على شهود النفي، ويخرجون لغرفة مختلفة أيضا، فدخل الشاهد الأول رامي فسأله القاضي: - ماذا رأيت؟ وبالتفصيل.

- جاءت مسز نانا، ورفضت الدخول في الصالون لوجود ضيف مع مستر نور، وجلست في غرفة أخرى، وجلست مع نور لخمس دقائق فقط، ثم خرجت، ورأيتها تمزق ملابسها وتنكش شعرها، وتجري ممثلة البكاء.

- ومن هذا الضيف؟

- أحد أصدقاء مستر نور.

فصاح جو: - إنه نينو المجرم الهارب من السجن، فهو ثوري يكره جلالة الملك، ونور يتستر عليه.

صاح نور: - وكيف عرفت أنه نينو؟، هذا اعتراف يا سيادة القاضي أن الفتاة كاذبة، فكيف عرف جو الضيف وهو لم يحضر معها؟، إذن هي من أخبرته بالضيف لأنه يكرهه، وبينهما خلافات، وإني لم أكن بمفردي بالبيت، كان الضيف نينو ورامي المساعد والخادمة والحارس، فكيف أغتصبها وسط هذا الحضور؟، وهناك أمر آخر خطير يا سيدي، لقد خطف مستر جو الضيف نينو، وسوف يقتله لما يعلمه من أسرار ضد جو، وهذه الأسرار تخص قضية تمثل خيانة عظمى للجزيرة وجلالة الملك.

ظهر التوتر على جو والأمير زين أيضا، فصاح جو: - إنه كذب.

نظر القاضي إليه وسأله: - وكيف عرفت بوجود نينو عند نور؟

- مجرد توقع فقط.

- هل خطفت نينو يا جو؟

- لا، لم يحدث.

تدخل نور بعد أن أشار ليستأذن القاضي: - حدث يا سيدي، خمسة أفراد خطفوا نينو، وقد رآهم الحارس، وحاول اللحاق بالعربة، ولكن لم يستطع، ويمكنك سؤال الحارس.

- وأين ذهبوا به؟

- مخزن خاص بجو في المنطقة الشرقية، أرجو أن تنقذوه قبل قتله.

- وكيف عرفت أنهم ذهبوا للمنطقة الشرقية؟

- الحارس جرى خلف العربة حتى دخلت طريق المنطقة الشرقية، فعاد منهكا من الجري، ولم يستطع الاستمرار خلفهم.

استدعى القاضي الحارس وشهد أنه رأى عربة عليها شارة النجمة، وتم اختطاف نينو بها عن طريق رجال كانوا ينتظرون خروجه، وأنه قد جرى خلفهم حتى دخلوا طريق المنطقة الشرقية، ولم يستطع أن يكمل، فأصدر القاضي أمره لرئيس الشرطة، بسرعة التحرك لإنقاذ الرجل المخطوف، وأعطى رئيس الشرطة أوامره لرجاله، فانطلقوا

لتخليص نينو من مختطفيه، وعند سؤال جو على العنوان، أنكر امتلاكه لهذا المخزن المزعوم، فلا يعرف عنه أي شيء، وطلب القاضي الشاهد الثاني، ثم الثالث وهما الخادمة والحارس، وكانت نفس الشهادة، أن نانا هي من مزقت ملابسها، وبعثرت خصلات شعرها، فطلب القاضي الإفراج عن الشهود، وطلب من الملك تأجيل الجلسة للغد حتى يتم خلاص نينو، فهو شاهد هام، لكن الملك رفض التأجيل، فالقضية تمس أمن المملكة وبها مؤامرة خيانة عظمى كما قال نور، ولابد من حسمها اليوم بالحق، ولا شيء غير الحق.

فقال القاضي: أنه بالأمس تم عرض نانا على طبيبة القصر، وهي من أبرع من ورق مهنة الطب في الجزيرة، فهي ابنة كبير أطباء الجزيرة، ومصدر ثقة عند الجميع، وأنها ستقدم تقريرها للوقوف على حقيقة حدوث الاغتصاب من عدمه، وسترفع الجلسة مدة ساعة واحدة للراحة واستدعاء الطبيبة للإدلاء بنتيجة الكشف الطبي على نانا.

(٢٧)

طلب الملك من رئيس المخابرات المساعدة في البحث عن نينو، فلبى الأمر، وأرسل رجاله مع قوات الشرطة، وانطلقوا إلى المنطقة الشرقية، وذهب معهم رامي فهو مساعد نور، ويعرف المنطقة الشرقية جيدا، انتشرت القوات، وبدأت تمسح المنطقة بحثا عن المخزن، بسؤال كل الناس في الشوارع والمحلات، وكان سؤالهم بصيغة: أين مخزن جو؟. فلم يتعرف أحد على المكان، فجو ماكر كالثعلب يحتاط في كل خطواته، فأكملوا البحث حتى وجدوا تجمهر ومشادة عند أحد المباني، انطلقوا إليه فوجدوا أصدقاء نور، جاد وعماله ووالد رامي وتلاميذ نور وأباءهم، ومجموعة تابعة لزعيما القبيلتين، كانوا قد وصلوا إلى المخزن قبل الشرطة، حبا في نور صديقهم البريء، فدخلوا في صدام مع حرس المخزن الذين يحبسون نينو، فتم إلقاء القبض على الحرس، وانقاذ نينو والعودة به للقصر.

دخل الملك جناح الملكة رنا لقضاء وقت استراحة الجلسة، فوجد ابنته مايا تجلس مع الملكة رنا، فهما صديقتين من قبل زواجه بها، فاحتضن ابنته، وهدّأها قائلا: - أنا على يقين من براءة نور، وأن قصة الاغتصاب ملفقة، فجو كاذب كبير وثعلب ماكر.

تدخلت الملكة رنا قائلة: - أنا أعرف نانا جيدا فهي صديقتي، وهي أنانية كوالدها، وتدمن الكذب ولا تحب إلا نفسها، حتى ولو مات الأخرين.

- ليس اتهام الاغتصاب ما يشغلني الآن، لقد رفضت تأجيل استكمال التحقيقات إلى الغد، لأن نور قال إنه يعرف سرا خطيرا ضد جو، وهو يمثل خيانة عظمى، فخفت أن يهرب بمركبه خارج الجزيرة، وأيضا لا أستطيع سجنه بلا سبب، لقد تحولت القضية إلى قضية أمن دولة، أما نور فبرئ وأنا واثق في ذلك، فقام جو بخطف رجل اسمه نينو، وهو الوحيد الذي يعرف هذا السر كما قال نور، لقد قال السر لنور، لكننا بحاجة إلى الشاهد ذاته، ليشهد بما رأى وبما يعرف، فلا قضية بدون بينة.

استأذنت الوصيفة لدخول طبيبة القصر فهي تريد مقابلة جلالة الملك، فأذن لها، فانحنت الطبيبة تحية للملك ثم قالت: - يا مولاي، لا يوجد آثار اغتصاب بجسد نانا، أو أي آثار لكدمات أو عنف نتيجة مقامة، كذلك فهي ليست بكرا، وفقدها عذريتها استطيع أن أقدره بزمن طويل لا يقل عن ثلاث سنوات أي من قبل وصول المتهم للجزيرة، وهذا ما أكده الكشف الطبي على أعضائها النسائية.

ضحك الجميع في سعادة، وطلب منها الملك أن تطلع القاضي على النتيجة فورا فهو ينتظرها، وقبل ابنته التي كادت ترقص فرحا لبراءة خطيبها، وذهب الملك لقاعة الجلسة.

بدأت الجلسة، ووجه القاضي سؤاله لنور: - ماذا حدث يا نور؟، هل اغتصبت نانا؟

- يا سيدي، أنا لم ألمسها نهائيا، حتى لم نتصافح، فكيف اغتصبها؟، إنها جلست قدر جملتين فقط قالتهما وغادرت، سألتني إن كنت خطبت الأميرة مايا كما سمعت، فقلت لها نعم، فاعترضت وقالت إنها تحبني، فقلت لها إننا لم نتكلم في الحب من قبل، وأنا لا أحب سوى خطيبتي، فنحن أصدقاء فقط، ثم غادرت نانا البيت، وهي اعترفت الآن أني لم ألمسها، ولم أحاول اغتصابها من قبل، بل إنها قالت لي وهي تغادر بنبرة تهديد: مبارك أيها الوسيم. هذا كل ما حدث.

فقال القاضي موجها كلامه لرئيس الشرطة: - افحص معي ملابس نانا يا كارل، فأنت لديك خبرة في تحليل القرائن.

بدأ القاضي ورئيس الشرطة يفحصان ملابس نانا الداخلية والخارجية، التي ادعت أنها كانت ترتديها وقت الجريمة، ثم بدأ التحقيق مع نانا: - يا نانا، ملابسك الخارجية ممزقه من الطوق، أي

منطقة العنق فقط، فوق منطقة الصدر، وهذا يعني أنها بالجزء العلوي من الجسم، أما الملابس الداخلية سواء العلوية أو السفلية فلا يوجد بها أي تمزيق، فهي سليمة تماما، فكيف اغتصبك، وكيف يصل لجسدك وأنت بملابسك، أم هل نزع عنك الملابس قبل الاغتصاب؟ فلو كان أرغمك على نزع الملابس لماذا لم تستغيثي أو تحاولي الهرب؟.

صمتت نانا، فتكلم جو: - إنه كتفها بيديه، ونزع عنها ملابسها الداخلية السفلية ثم اغتصبها.

- أنا أسألها هي، فهي المغتصبة، هل كنت معهما ورأيت ما حدث؟ لا تتكلم إلا بإذن.

ثم وجه كلامه لرئيس الشرطة: - ما رأى رئيس الشرطة؟

- كي يمزق ملابسها الخارجية، ويكتفها ويشل حركاتها، هو محتاج ليديه الاثنين معا، فكيف يجردها من الملابس الداخلية إذن، هو يحتاج يديه الاثنين لينزع ملابسها دون تمزيق، أو يد واحدة لتمزيقها، فكيف يسيطر عليها بيد واحدة وهي تقاومه بيديها ورجليها، ثم يجردها من ملابسها السفلية دون تمزيق باليد الأخرى؟ مستحيل أن يحدث هذا، وكما وضحت فإن أقصى احتمال في حال حدوث الجريمة هو أن يكتفها بيد واحدة، ثم يمزق ملابسها الداخلية

السفلية باليد الأخرى، أي لابد أن يكون الآن ضمن الملابس قطعة داخلية ممزقة.

دخلت الطبيبة وقدمت للقاضي نتيجة الكشف الطبي فقال: - أعلني نتيجة الكشف الطبي على الحضور.

- يا سيدي لا يوجد آثار اغتصاب أو كدمات نتيجة عنف أو مقاومة بجسد المدعية، وكذلك ثبت أنها ليست بكرا منذ زمن طويل.

صفق الحضور كلهم، ما عدا جو والأمير زين، فغضب الملك من موقف عمه زين، وأنه كان يعرفه جيدا لكن لا يجب أن يجهر به أمام الجميع هكذا.

قال القاضي: - أيها السادة، مِمّا تم من تحقيق وفحص وتحليل لملابس المدعية داخلية وخارجية، ونتيجة الكشف الطبي عليها، وحسب قوانين جزيرتنا، أنتم الآن المحلفين، وأرجو التصويت على الحكم، وهذا التصويت هو رأى فقط، وللقاضى الحرية في الأخذ به أو تركه، فالمؤيد لوقوع الاغتصاب وإدانة نور يتفضل بالوقوف.

وقف الأمير زين فقط، فهز القاضي رأسه، وقال: العدد واحد فقط، إذن فالمؤيد لبراءة نور يتفضل بالوقوف، فوقف جميع من بالقاعة، المستشارين الستة، وزعيمًا القبيلتين، ورئيس الشرطة، فقال

القاضي: العدد تسعة، وعليه فمن التحقيقات التي تمت، وبفحص الملابس، ونتيجة الكشف الطبي التي أثبتت عدم وقوع الاغتصاب، وأيضا آراء المحلفين التي تعترف نتيجتها بمنطقية ما تم، ومن كل ما تقدم، أعلن براءة نور من تهمة الاغتصاب.

هلل الجميع مهنئين نور بالبراءة، فقام جو وزين يريدان الانصراف، فصاح الملك: - ممنوع الانصراف من القاعة، فالحكم لم يكتمل، لقد نطق القاضي بالجزء الأول منه فقط، فهذا اتهام كاذب، وعقابه من جنس العقوبة، ورجال الشرطة في الطريق الآن، فقد عثروا على نينو، وهم قادمون به لسماع شهادته فيما يخص جريمة الخيانة العظمى للجزيرة وللملك.

أحس جو أنه اختار نهايته بيديه حين سمع كلام ابنته، أما زين فنظر إلى جو شذرا، وكأنه يقول له أنت السبب، لقد قضيت علينا.

(٢٨)

قام الجميع يهنئون نور ببراءته، تغمرهم السعادة بنجاته من مخطط جو القذر، وهنأه الملك، فقبل نور يده، فأعلن الملك أمام الجميع: - كنت أعرف أنك برئ، ولم أشك في سلوكك لحظة، ولكني آثرت أن تخرج البراءة من المحكمة وليس بقرار مني، فوقتها تستحق البراءة أن نهنئها بك لا أن نهنئك بها.

فجأة دخل رجال الشرطة ومعهم نينو، ومختطفيه إلى الجلسة، فوضع الخاطفين تحت الحراسة مكبلين، وظهرت علامات السعادة على الملك، لتخليص نينو الذي يملك سر الخيانة العظمى للجزيرة، وشاهد عيان عليها، وما أن رأى نور صديقه نينو حتى تعانقا وكل منهم هنأ الآخر، وأحس جو أن نهايته دنت وأصبحت على بعد خطوات، وراح يفكر كيف ينجو من تلك الكوارث التي فعلها، ونظر إلى رجاله المكبلين، وأشار لهم بألا يذكروا اسمه، وذلك بوضع يده على فمه في إشارة صريحة للصمت وعدم إفشاء ما بينهم من أسرار، وأشار أيضا لهم بحركة فرك السبابة بالإبهام، كرمز للمال كمقابل، فهزوا رؤوسهم بالموافقة.

استأذن القاضي من الملك بدأ الجلسة بعد حضور نينو، فأذن له، فبدأ التحقيقات قائلا: - ماذا حدث يا نينو؟، هل حقا تم اختطافك؟

- نعم، قام هؤلاء الرجال بخطفي، (اشار إلى الرجال المكبلين تحت الحراسة) عند خروجي من بيت المستشار نور، هجموا علي وقيدوني وكمموا فمي، ووضعوني في العربة، وأنا أعرفها جيدا، وذهبوا بي إلى مخزن المنطقة الشرقية الذي يمتلكه مستر جو، فأنا أعرف هذا المخزن جيدا، فقد كنت أعمل به أثناء عملي عند جو، واحتجزوني به، ورفضوا الحديث معي، لكنني سمعتهم يتحدثون أن الأمر جاءهم بالتخلص مني بالقتل.

نهض جو غاضبا: - هذا كذب، لم أطلب من أحد اختطافه، وهذه العربة ربما تكون قد سرقت، أو أن صاحبها وضع عليها شارة النجمة لمجرد التقليد، أو أعجبه شكل النجمة.

- قلت لا تتكلم بدون إذن، (ثم لنينو) هل تعرف من الذي اختطفك؟

- بالتأكيد مستر جو، فهو من حبسني من قبل ليرهبني ويجبرني على الصمت، (واشار لجو) ذلك اللص الأفاق.

استغل جو غضب نينو فقال: - إنه يسبني، وهذا ضد القانون، وأنا لم اختطفه ولم أطلب من أحد فعل ذلك، إنه رجل ثوري، يشحن الناس ضد الملك، ولذلك تم حبسه لزمن طويل.

- هو من اختطفني، ويدبر لقتلي، لأنني أعرف سره.

- وهل تعرف هؤلاء الرجال؟

- نعم، أعرفهم جيدا، إنهم يعملون عند جو منذ زمن، ونعرف بعضنا البعض، وهذا الرجل ذو الشارب الكث هو سائق العربة منذ زمن.

فوجه القاضي أسئلته للمكبلين: - هل تعملون عند جو؟

- نعم.

- لماذا اختطفتموه؟

- لم نختطفه.

- إذن من سجنه بالمخزن؟

- نحن لم نسجنه، إننا تشاجرنا معه، فقد كنا نجلس أمام المخزن، فجاء إلينا وتشاجر معنا، ظناً منه أننا قد تسببنا في رفده من العمل وحبسه، ودار حوار كبير انتهي بالشجار.

تدخل كارل رئيس الشرطة قائلا: - يا سيدي، إننا خلصنا نينو من داخل المخزن، فقد كان محبوسا بداخله، بعد وقوع مشاجرة بين أصدقاء المستشار نور وهؤلاء الرجال، من أجل فتح باب المخزن وإطلاق سراح نينو، ولكن هؤلاء الرجال كانوا مسلحين، وضربوا أصدقاء نور وحينما حضرنا نحن تمكنت من إطلاق سراحه، وقبضنا عليهم، وبخارج القاعة أصدقاء نور الذين حاولوا تخليص نينو، وهم

مستعدون للشهادة، فقد كادوا أن يضحوا بأنفسهم من أجل إثبات براءة صديقهم نور.

- إذن نينو كان داخل المخزن، ولم يكن الشجار معه بالخارج، وكان الشجار مع الذين حاولوا إنقاذه، حسنا، فما دمتم تريدون تحمل التهمة نيابة عن رجل أخر، فلا بأس، كما تشاءون، فعقوبة الخاطف مثل عقوبة القاتل.

هاج أحد الرجال خوفا مما سمعه من قول القاضي وكان هو السائق الخاص بجو: - ماذا يعنى هذا يا سيدي؟

رد كارل متهكما: - يعنى الإعدام.

- لا، إعدام لا...

صاح جميع الرجال:

- لا، إعدام لا، ليس لنا أي شأن.

- إذن تكلموا.

- نعم يا سيدي، سأتكلم، أنا أعمل عند مستر جو، وقد خططنا لاختطاف نينو، تنفيذاً لأوامر جو، لقد كلفني أن أخذ رجالا متخصصين في الاختطاف لنختطف نينو وهو خارج من بيت نور،

فأنا لم أكن أعرف نهائيا أين يكون نينو، بل لم أكن أعرف عنه أي شيء منذ رفده من العمل.

هاج جو عندما بدأ السائق في سرد اعترافه فقال: - أنا لم أطلب منهم أي شيء، وهذا السائق قد ترك العمل منذ أكثر من عام، وبالتأكيد قد سرق العربة لغرض هذه الجريمة، وهؤلاء الرجال لا أعرفهم.

رد السائق: - ولماذا أختطفه؟ فلفي يوجد أي خلاف بيننا، ولا أعرف عنه إلا ما قلته، فهو فقير مثلنا لا يملك ما يغريني باختطافه من أجله.

تدخل الرجال جميعا في الحديث: - إننا نعمل عند جو، وما فعلناه كان حسب أوامره، فليس بيننا وبين نينو أي علاقة، بالكاد نعرف أسماء بعضنا، رغم أننا جميعا نعمل عند رجل واحد، هو جو والمخزن ملك لجو، ونحن لا نملك أي شيء، فلماذا نختطف من هو أفقر منا؟، إنه لا يملك لا مالا أو مسكنا أو وظيفة، لكنه بالتأكيد يملك ما يخيف جو.

امتلأت القاعة بالصياح والاتهامات المتبادلة بين جو والرجال، إلى أن جاء أمر القاضي بالصمت، فصمت الجميع، ثم وجه قوله المحلفين: - أريد تصويتكم على نتيجة التحقيق في قضية اختطاف

نينو، فالموافقون على براءة جو يتفضلون بالوقوف، لا أحد، الموافقون على اتهام جو يتفضلون بالوقوف، تسعة.

الأمير زين لم يصوت في الحالتين، فنظر جو إليه في غضب، لأنه لم يقف معه، فالأمير زين قرّر أن ينأى بنفسه عن جو، لعله ينجو بعدما بدأت كل جدران حمايته تنهار.

القاضي: - مما تقدم، أرى أن القضية قضية قرائن، فالرجال قد اعترفوا بالجريمة لصالح جو كما أمرهم، والاعتراف سيد الأدلة، وقد تم الاختطاف بعربة جو، فالخاطفون يعملون عنده، وبأمره تمت الجريمة، والاحتجاز تم في مخزنه، وباعتراف الخاطفين أنه من أمرهم بذلك، فالمحرض هو جو، وعليه يقع نفس جرم المنفذين، والحكم هو الحبس خمس سنوات لكل منهم.

امتلأت القاعة بصراخ المحكوم عليهم، كذلك بالتهليل والفرح من مؤيدي نينو ونور، فطلب القاضي رفع الجلسة ساعة للراحة، لتعود للانعقاد والتحقيق في قضية الخيانة العظمى، التي أشار إليها نور واستشهد بما يعرفه نينو من أسرار، فوافق الملك، ودخل القصر ليبشر ابنته بما تم في شأن خطيبها.

(٢٩)

بدأت الجلسة، وسأل القاضي نينو: - نريد أن نعرف ما هو ذلك السر الذي دفع جو لتدبير اختطافك، لأن نور قال أن هذا السر هو السبب الحقيقي لاتهامه باغتصاب نانا.

- إنها قصة كبيرة يا سيدي.

- تفضل، قص علينا بالتفصيل وخد وقتك.

- كنت أعمل لدى مستر جو، ومهمتي كانت توزيع البضائع على محلات الزبائن، ومتابعة المخازن، كنت مراقبا عاما على كل محاله ومخازنه، وذات يوم وجدت مستر جو قد أحضر عدد عشرة أشخاص أغراب عن الجزيرة على مركبه الخاص، أحضرهم مع البضائع التي يجلبها للجزيرة من الخارج ليبيعها للناس، قال أنهم خبراء في ترتيب المخازن، وكانت مهمتي هي توفير الطعام والماء وكل ما يلزمهم فور طلبه، والغريب أنهم كانوا يستلمون تلك الأشياء مني عند باب المخزن، دون أن يسمح لي بالدخول، ومن يتسلم الأشياء كان يواري الباب بجسده، حتى لا أرى شيئا مما يدور بالداخل، وكنت أسمع جلبة تدل على وجود حفر بالمخزن، فدفعني الفضول إلى محاولة معرفة ما يدور بالداخل، ولماذا يخفون ما يفعلون بهذا الحرص الشديد،

وأثارني أن وجدت آثار أتربة حول المكان، زاد يقيني بأن هناك شيئا ما يحدث، ومن خلال فتحة الباب الصغيرة أثناء استلامهم الطعام ذات مرة، ومحاولة رئيسهم اغلاق فتحة الباب بجسده، لمحت جزء من جبل تراب بالداخل، أيقنت بصحة شكوكي، وبقربي من جو ومعرفتي به، كنت أشك في كل ما يفعله، خاصة ما يخفيه عني وعن كل من يعملون معه، فتأكدت بوجود كارثة تحدث، فلم أجد مفرا إلا أنني أقوم بعمل خدعة للدخول، وأثناء استلامهم الطعام في أحد الأيام، دفعت الباب بقوة، وادعيت أن الشرطة قادمة، فقد انتبهوا لآثار الأتربة، وقد يسألون عن هذا الحفر، ويكشفون سرنا ونحبس، فخاف الرجل، ولم يجد مفرا من دخولي وإغلاق الباب خلفنا، أصبحت بالداخل وشاهدت العمل على قدم وساق، ورأيت كل شيء، فكان من المصادقة أن يوم دخولي يوم أن أخرجوا الصناديق من الحفرة، وكانت مملوءة بسبائك الذهب، وسمعت أحدهم يقول لرئيسهم أن السبيكة مطبوع عليها وزنها، وهو كيلو جرام، فكانوا يحصون العدد ساعة دخولي، فلولا حدوث تلك الخدعة ما انكشف أمرهم، فلو تأخر دخولي، يوما واحدا فقط لأفلت جو بالذهب، وما علم به أحد، عندما لاحظت انزعاجهم، هدّأتهم وقلت إنني أعرف ما يحدث فمستر جو لا يخفي عني شيئا، فأنا مساعده الخاص، وأنا فقط من يعلم بوجودهم، لذلك اساعدهم بجلب كل ما يحتاجونه، تحدثنا، فعرفت أن بكل

صندوق مئتا سبيكة، وفجأة دخل مستر جو، وحين وجدني صرخ فيهم، لماذا دخل نينو؟، فقلت له كانت الشرطة قادمة لأنهم لاحظوا آثار الأتربة على الأرض فمحوتها ودخلت، فكان لابد أن أدخل، وإلا انكشف السر، وأنا أعرف ما يدور منذ أول يوم، وقبل أن يجيب، أو يطردني، أو حتى يقتلني، جاء ابن عم جو، مستر شارل، وغضب أيضا من اطلاعي على سرهم، لكن فرحته بالصناديق أنسته أمري، وعلمت أن شارل هو من وجد الخرائط وأعطاها لجو، ثم حدثت المفاجأة مدوية بالنسبة لي، حينما دخل الأمير زين، فهو لا يعرفني، لذلك لم يعلق على وجودي، واقتسموا الغنيمة، فكل واحد منهم أخذ صندوقين.

صاح الأمير زين: - كذاب، حقير، أتعرف عن من تتحدث؟ هل جننت؟

تأكد الملك من تورط عمه عندما قاطع نينو، فصاح: - اغلق فمك يا زين، واجلس لحين سماع أقوالك.

- أنا عمك، واسمي الأمير زين، فلا تعاملني هكذا.

- وأنا الملك، وأنت من الرعية، والآن أنت متهم، فاثبت براءتك أولا حتى أناديك بعمي، فالتهمة هي الخيانة العظمى.

جلس زين غاضبا، وأشار الملك لكارل رئيس الشرطة وهمس له أن يحضر شارل حالا، دون أن يظهر الأمر كتحفظ عليه، حتى لا يأخذ حذره فيخفي الذهب، فقط يخبره برغبة الملك في لقائه لأمر هام الآن، فتوجه كارل لتنفيذ الأمر، ثم طلب الملك من نينو أن يكمل دون خوف.

استكمل نينو سرد قصة مخزن الذهب فقال: - طلب رئيس العمال الرحيل، فقال له جو سترحلون الليلة عند منتصف الليل، وحمل العمال الصناديق ووضعوها بالعربات الثلاثة، بكل عربة صندوقين، وهذا السائق الذي اختطفني حمل الصندوقين الخاصين بجو، ثم طلب جو مني إحضار الرجال وردم الحفرة، لكني قبل أن أحضر العمال لردم الحفرة بعد رحيل الجميع عن المخزن، نظرت بالحفرة فوجدت الخريطة ملقاة بأرضيتها، فأخذتها واحتفظت بها، ويمكن أن أحضرها لكم كدليل.

أمر القاضي أن يذهب أحد رجال الشرطة مع نينو، ليحضر الخريطة، فهي دليل إثبات، ثم وجه القول لجو: - ما قولك في ما قصه نينو؟

- كذب، لا يوجد ذهب، ولا أي شيء مما قاله صحيح.

- الأمير زين، ما قولك؟

- كذب وتخريف.

تدخل الملك غاضبا من إنكار جو والأمير زين: - ما تقول أنه تخريف يا زين، هو حقيقة سمعتها من جدي وهو يخبر بها والدي وأنت تعرفها جيدا، هذا الذهب وجده جدنا الملك كاي منذ أكثر من ثلاثمائة عام، جدنا الذي سميت على اسمه، فقد كانت الصناديق في أحد المراكب التي غرقت بالقرب من الجزيرة، وغرق كل من فيها، ووجد جدنا هذه السبائك الذهبية، ونقلها هو وأولاده حتى لا يعلم أحد سرها، ودفنها في هذا المكان الذي كان استراحة له، ورسم خريطة للمكان حتى يجده من يأتي بعده، وقال هذا الكنز لأحفاد الجزيرة مستقبلا، قال أحفاد الجزيرة، ولم يقل أحفادي، أرجو أن تعي هذا يا زين، وكل من جاء بعده من الملوك يعرف القصة، لكن لم يجد أحد الخريطة، ألا تعرف هذا يا زين؟، أتتقاسم هذا اللص في مالنا، بدل من الحفاظ عليه لصالح الجزيرة؟

- لا أعرف هذه القصة، ولم أخذ شيء.

- واذا جاء نينو بالخريطة؟

- ومن قال إن هناك ذهبا، أو أن هناك خريطة؟

رفع السائق يده طلبا الكلام: - سيدى الملك، لدي الإثبات، وأطلب الحماية، والعفو من الحبس بما ستفيد به شهادتي.

- لك هذا.

- ما قاله نينو صحيح، وأنا من نقلت صندوقي جو لبيته في المنطقة الغربية.

- ظهرت الحقيقة للجميع، اسمع يا جو إن لم تعترف سوف نفتش كل بيوتك ومحلاتك، وإن وجدنا الذهب سأعدمك، وإن اعترفت وسلمت الذهب، سأعفو عنك في قضية نور واختطاف نينو، فكر جيدا، ستخسر كل شيء، وأنت يا زين، فكر وقرر، فلن أرحم أي خائن أبدا مهما كانت شخصيته، فما رأى المستشارين؟.

رد جميع المحلفين معا: - إنها قصة تشبه الحواديت، وكلنا معك ونؤيدك يا مولاي.

فطلب الملك أن ترفع الجلسة لمدة ساعة، كي يعطي الفرصة لجو وزين ليفكرا جيدا، ثم همس للحاجب أنه عندما يحضر شارل لا يدخل القاعة، بل يحجز في غرفة منفصلة حتى تبدأ الجلسة.

تقدم نور من الملك، وأخبره أن لديه أفكار جيدة للتحقيق مع شارل، فهو أهم تحقيق، وقد نحصل به على ما نريد، فهو يريد التحدث مع شارل سرا، فوافق الملك ودعاه إلى الغرفة المجاورة ليتحدثا حتى يأتي نينو وشارل.

(٣٠)

عرض نور على الملك رأيه في طريقة التحقيق مع شارل، وطلب أن يختلى به و يتم التحقيق معه في الغرفة المنفصلة عن قاعة الجلسة، حتى لا يعرف شارل أن جو وزين أنكرا أخذ الذهب، فينكر مثلهم، وإنه يستطيع أن يوقع به، فيجعله يعترف، فشارل لا يقع إلا بالحيلة فقط، ولابد من الفصل بينه وبين شركائه، فعندما يدخل عليه وبيده الخريطة التي كانت معه وهو الذي عثر عليها، ويخبره أن جو وزين اعترفا، وأعاد كل منهما صندوقين من سبائك الذهب، وبكل صندوق مئتي سبيكة، فمعرفتنا بالكميات مع وجود الخريطة ونينو ستقنعه بلا شك بصدق كلامنا، وسوف يعترف، ويكون معه في التحقيق رئيس الشرطة كارل، فأعجب الملك بالفكرة، ثم دخل الحاجب على الملك ليخبره بوصول شارل، ووصول نينو بالخريطة.

دخل نور غرفة احتجاز شارل، وبيده الخريطة الخاصة بالكنز، وخلفه كارل، وكانت المرة الأولى التي يراه فيها، ولاحظ شدة الشبه بينه وبين جو ابن عمه، نظر شارل إلى نور، فهو أيضا لم يره من قبل، فعرف من رؤيته أنه الفتى الوسيم الذي تحدثت عنه الجزيرة، وقالوا أنه بوسامته الشديدة يسيطر على كل من يجلس معه أو يحاوره، وقال لنفسه إنهم على حق، جلس نور وكارل بجوار شارل، فقال

نور: - مساء الخير يا شارل، أنا نور مستشار الملك، وهذا كارل رئيس الشرطة، أنت تعرفه.

- مساء الخير، نعم أعرفه، أخبروني أن جلالة الملك يريدني.

- نعم، وأنا هنا لذلك، هل تعرف هذه الخريطة؟

فرد نور الخريطة أمامه، فبدا شارل مرتبكا بعد رؤية الخريطة وقال:
- لا، لا أعرف هذه الخريطة.

- اسمع يا شارل، سأتحدث معك مباشرة دون مراوغة، هذه الخريطة كانت معك، وأنت من عثرت عليها، وتخص الكنز الذي عثرتم عليه أنت وجو والأمير زين، ونهاية الموضوع أن أعاد الأمير زين ومستر جو صناديق الذهب التي لديهما، والدليل على صحة كلامي أن كل منهما أخذ صندوقين من الذهب بهما أربعمائة سبيكة ذهبية أي أربعمائة كيلو ذهب، أليس هذا هو العدد ونصيب كل منهما؟، وقد أعادا الصناديق حينما واجهناهما بالخرائط، وشهادة نينو الذي كان معكم أثناء تقسيم الكنز، وأنت قد انفعلت غضبا لوجوده، وكذلك وجود سائق العربة التي نقلت صناديق مستر جو، فلا داعي للإنكار، فهما أعادا الذهب وعينهما الملك مستشارين له كمكافأة لوطنيتهما.

نهض شارل غاضبا وقال: - أنا لا أعلم عن ماذا تتحدث.

فاقترب منه كارل مهدئا: - فكر يا شارل، لقد أعاد جو والأمير زين الصناديق الأربعة، وما بقى إلا أنت، فأحضر ما عندك بهدوء، فلو صممت على الإنكار سيتم تفتيش كل بيوتك ومحلاتك، وسنجدهما، لكن في هذه الحالة ستسجن، وتتهم بالخيانة العظمى، لأن هذا الذهب وجد في أرض الدولة، وعليه فهو ملك الدولة.

اقترب منه نور قائلا: - هل هذه الخريطة لا تعني لك أي شيء؟، فوجودها يقول أنكم انكشفتم.

فتناول الحديث كارل قائلا: - وكذلك عدد الصناديق، ووزن الذهب، ألا يثبت ما نقول؟ اعترف أفضل لك، ولن نخبر للملك أنك أنكرت، وسنقول أنك وافقت بلا مناقشة، وأحضرت الذهب.

تلعثم شارل وهو لا يأمن عاقبة اعترافه: - نينو كاذب، يكذب عليكم لأنه يكره جو.

فأمسك نور بكتفه: - والخريطة كاذبة؟، وشريكاك الذين أعادا الصناديق كاذبان؟.

تدخل كارل: - إن وجدت الصناديق عندك وقت التفتيش ستعدم، وستصادر كل ممتلكاتك، وإن قمنا بالتفتيش ولم نجدهما لكونك اخفيتهما، أيضا ستصادر كل ممتلكاتك، وتعدم.

- لماذا تصادر ممتلكاتي وأنتم لم تجدوا شيئا عندي؟

- لأن شركائك أعادوا صناديقهم، واعترفوا أنك من وجدت الخريطة، وصاحب فكرة الحفر، فبلا خريطة ما كان هناك حفر أو سرقة للكنز، فأنت أساس الموضوع، وهما قد أعادا الذهب، وتم تكريمها من الملك، فالموضوع خرج عن حد الاتهام أو الإنكار والاعتراف، ألا تفهم يا شارل؟، كن ذكيا بدل ما أن تخسر كل شيء، إنه الإعدام، فهذه قضية خيانة عظمى.

- كوب ماء لو سمحت.

- ماء وعصائر إن أردت.

أشار كارل لأحد الحرس ليحضر الماء، فتقدم نور من شارل وقال: - سأجعلك تتأكد من صدق كلامنا، بأن ترى الأمير زين وجو ابن عمك، وهما في اجتماع مع الملك، فقد أصبحا مستشارين له كمكافأة على إعادة الذهب، وهما الآن يجلسان مع السادة المستشارين في انتظار وصول جلالة الملك، ولكن هذه خدمة مني لك، حتى تتيقن من كلامنا، فلو علم الملك بهذا لغضب جدا، لأنك تريد إثباتا غير ما قدمناه لك، فهذه الخريطة يا شارل أين تراها الآن! إنها في قصر الملك، والذهب

أيضا في قصر الملك، وزين وجو في قصر الملك، فكر جيدا في مستقبلك.

أشار نور إلى كارل أن يخلي الطريق، وأخذ معه شارل، فوقفوا أمام باب القاعة التي بها الجلسة، ليرى شارل من بعيد الأمير زين وابن عمه جو، وهما يجلسان بجوار المستشارين، ثم عادا به قبل أن يراه أحد كما أقنعه نور، فشارل لا يعلم أنها جلسة المحاكمة فعاد وهو مقتنع أن جو أصبح مستشارا للملك بعدما أعاد الذهب.

تقدم نور نحوه قائلا: - مستر شارل، لو أعدت الذهب فأنت لن تخسر أي شيء، فهذا الذهب ما هو إلا كنز وجدته بالصدفة تحت الأرض، لم تحققه كثروة بعد عناء وتعب، فإعادته لا تمثل أي خسائر لك، فأنت تاجر ولديك مركبك تصدر وتستورد وتبيع للجزيرة، أما إن رفضت أن ترد الذهب، فنحن معنا أمر من الملك بتفتيش كل ما تملك من بيوت ومحلات، وحينما نجد الذهب سنرده للدولة، ستعدم وتصادر أملاكك أيضا، فلماذا كل هذه المغامرة؟، الذهب كان بأرض الجزيرة، فهو ملك للجزيرة، وأنت دخيل على الجزيرة، فكر جيدا بدلا من أن تخسر كل شيء.

- أوافق بالشرط الذي قلته، الملك لا يعلم بهذه المساومة.

- نعدك بذلك.

- من سيأتي معي؟

- أنا سآتي معك، ونعود لتسلم بيدك الذهب للملك، وتأخذ المكافأة.

ابتسم شارل بعد تخيل نفسه مستشارا للملك، ثم خرج ومعه كارل والحرس، لإحضار الذهب، ثم دخل نور إلى الملك في غرفة الاستراحة، وأخبره بما حدث، واقترح تأجيل الجلسة حتى يعود كارل بالذهب، فحينما يجد زين وجو أننا أعدنا نصيب شارل، لن يكون أمامهما إلا الاعتراف لتنتهي القصة، عبر الملك عن سعادته بنور وبأفكاره، فهو يجهز له منصبا هاما جدا يناسب إمكانياته.

عاد كارل وشارل بالصندوقين، كل صندوق على شكل مكعب طول ضلعه متر، كانا على عربة ذات أربع عجلات يدفعها شارل، فتقدم شارل للملك، وقدم له الذهب، فشكره الملك ووعده بمنصب رفيع المستوى، وطلب من نور أن يدخل هو وشارل بالصندوقين حينما ينادى الحاجب عليهما.

(٣١)

عاد الملك للقاعة، وأعطى الإذن للقاضي ببدء الجلسة، فبدأ القاضي في مواجهة المتهمين بالأسئلة وما لديه من شهود: - ما ردك يا جو؟ هل فكرت وستعيد الذهب؟

- يا سيدي أنا لم أجد ذهبا، وكل هذا لم يحدث، إن نينو يكرهني، لأني طردته من العمل، فقد كان يشحن العمال ضدي وضد الملك.

- وأنت يا أمير زين؟

- هذا اتهام كاذب، ينم عن حقد دفين.

وقف الملك وعلى ملامحه الغضب مما سمعه من أكاذيب جو وزين، فأشار للحاجب أن يدخل المستشار نور، كانت المفاجأة، عندما دخل القاعة حارسات يدفعان عربة عليها صندوقين الذهب، وما أن رآهما جو وزين، حتى وقفا من هول الصدمة، وقد جحظت عيونهما وتغير لون وجهيهما، فهما يعرفان الصندوقين جيدا، وكانت المفاجأة المذهلة التي قضت عليهما دخول شارل، الشريك الثالث لهما، وخلفه نور وكارل، هنا سقط الاثنان جلوسا وكأنهما شلا، فضحك الملك وقال: - ما رأيكما الآن؟، افتح الصندوقين يا نور.

فتح نور الصندوق الأول فظهرت سبائك الذهب، ووقف كل من بالقاعة ليروا جيدا، فأمسك نور بسبيكة وأعطاها للملك، ليرفعها بيده في وجه جو وزين، وهنا قام جو منفعلا دون تفكير، أو سيطرة على

نفسه صارخا في شارل: - أيها الغبي، خدعك الوسيم بأكاذيبه وابتسامته المعسولة، فسقطت كالحمار.

نظر الجميع لجو، مستنكرين رد فعله وألفاظه في حضرة جلاله الملك، فقالوا إن الذهب قد ذهب بعقله وخبثه، وقتها علم شارل بأن شريكيه لم يعترفا، ولم يسلما الذهب، وأنه وقع فريسة للثعلب نور، ولكنه عاد بسرعة وأيقن أنه نجا من غضب الملك، وغسل نفسه من الجريمة، صمت الجميع عندما صاح الملك في جو قائلا: - جو، أترفع صوتك في وجودي، وتسب إنسانا لنزاهته؟ أيها اللص القذر، سأقطع لسانك هذا، بل سأقطع رأسك، وأعلقها على باب بيتك أيها الجبان.

أحس جو بفداحة ما فعله، وما ينتظره سيكون أصعب، فهو الاعدام فتراجع بسرعة متوسلا: - السماح يا مولاي، أرسل معي الحرس، وأنا أحضر الذهب لك حالا.

أشار الملك إلى كارل أن يذهب معه بالحرس، ويحضر الصندوقين إلى القاعة، وفي حالة محاولة جو الهرب أو المراوغة يقتله دون تردد، فخرج كارل مع جو لإحضار الذهب وسط حراسة من رجال الشرطة.

نظر الملك إلى الأمير زين بأسى وتعجب من موقفه قائلا: - وأنت يا زين، أيها العم والأمير، من تنفق عليه الجزيرة، وتعطيه راتبه ليعيش حياة الملوك.

- هذا الذهب ميراثي من جدي.

- وهل الميراث ينقب عنه، أو يدفن في باطن الأرض؟ الميراث يوضع بالخزائن، وجدنا لو كان على يقين أن هذا الذهب مِلكا خالصا له، لوضعه ضمن أمواله بالقصر، وورثناه جميعا، إنه أخفاه خارج القصر حتى لا يأخذ ضمن الميراث، أخفاه ورسم له خريطة وجعله لأحفاد الجزيرة، لا لأحفاده هو، وأنت رغم ثروتك، ومكانك بالجزيرة لم تقنع، بل تآمرت مع أصحاب النجمة ثم سرقت ذهب الجزيرة واقتسمته معهم، أخبرني ماذا كان ينقصك؟

أجابه زين منفعلا: - أنا لست لصا، فانتقى كلماتك.

أجابه الملك بانفعال أشد: - من ينتقي كلماته؟ أجننت يا زين؟، أنت من ينتقي كلماته وأفعاله، لابد من إعادة الذهب لأصحابه، أنت سوف تكنزه على ما لديك من الكثير من ثرواتك، أما أنا فسوف أنفقه على الجزيرة، سنقيم المشاريع للناس لتعيش منها، سنقيم لهم المدراس ليتعلموا، أفهمت يا من تعيش ملكا على حساب ثروتهم التي سرقتها.

- هذا ميراثي، ولن أتنازل عنده أو أعيده.

- أتقف أمامي هكذا بهذه الوقاحة، وتتحداني أمام الجميع من أجل الذهب؟، إذن ماذا تفعل من أجل الحكم الذي تخطط له انت وابنك جاك؟، هل ستحاربني وتتأمر علي؟، لقد تأمرت من أجل حفنة مال، فما بال الكرسي، ستقتلني من أجله بلا شك.

انزعج زين وارتعدت فرائصه عندما انكشفت كل مخططاته السرية أمام الملك ورجال الدولة فقال: - لا يا مولاي، فنحن خدمك وعائلتك ودمك.

- الذهب يعود الآن، وإلا أعدمتك، فأنا لا أهدد فقط، فهذا مال عام.

تملك الرعب من زين، وعرف أن الملك عازم على تنفيذ ما يقول، وإنه سوف يخسر الحكم الذي سيرثه ابنه، بل سوف يخسر كل شيء بهذا الموقف الأحمق، فقال لنفسه حقا أنني غبي، فوقف وقال: - أوامرك يا مولاي، الآن أذهب وأحضر الصندوقين.

- وأنا في انتظارك، أمامك ساعة فقط.

ثم أشار للحرس أن يذهبوا معه لإحضار الصندوقين، وأشار للجميع أن ترفع الجلسة فقد انتهت القضية، وأمر أن يوضع المتهمون في الحبس لتنفيذ العقوبة، والعفو عن السائق وجو كما وعدهما، ثم أشار لنور أن يتبعه.

(٣٢)

دخل نور مع الملك إلى القاعة الملكية، فدعا الملك الأميرة مايا لتهنئ خطيبها نور ببراءته، وكذلك الملكة رنا لتناول الغداء، دخلت الأميرة مايا إلى الصالون الملكي وكذلك الملكة رنا وحولهما الوصيفات لخدمتهما، كانت المرة الأولى التي يرى فيها نور رنا بعد زواجها، فتعانقت النظارات، وأحس بشيء ما يعتريه، فهي أول حب دخل قلبه، وأول نبضة لروحه، فهي المرأة الوحيدة التي أحبها، وأحس بها وهام فيها، تلك العيون السوداء التي أخذته أمواجها، فأغرقته في بحورها، ولكن كانت النظرات في الخفاء، نظرات بالقلب والحواس، لكنه سريعا ما لام نفسه على هذا الإحساس، فالملك قدم له ما لم يقدمه له والده، لقد فعل معه الكثير، وإنه رجل يكره الخيانة، لقد رفض علاقات متعددة بعدد شعر رأسه لخوفه من الله، لذلك غض بصره عن الملكة، وحاول أن يبتعد عن أي شبهة، فسلم على الملكة رنا وقبل يدها، ولم يحاول أن تحمل القبلة أي تعبير، بل كانت فاترة، ثم سلم على الأميرة مايا بحرارة، فهنَّأته ببراءته وعلى كل البطولات التي قدمها للمملكة.

تعجل الملك الغداء، فقد تأخر عن موعده حوالي ثلاث ساعات، فكان الوقت اقترب من الغروب، فمنذ الصباح وهم في تحقيقات

وصراعات، طلب نور من الملك أن يتحدث معه في أمور المملكة وأمور هامة، فكان رد الملك مازحا: لا كلام قبل الطعام.

ضحك الجميع، فأخبرهم الملك أنه قرر أن يكون حفل زواجه بالأميرة مايا بعد أسبوعين فقط، فعلى الجميع الاستعداد، ابتسمت مايا بسعادة وهنأتها رنا وقبلتها، وكذلك هنأت نور.

جلس نور والملك ليتحدثا، فطلب نور من الملك أن يعطيه الأمان، لأنه سوف يتحدث في أمور كثيرة تخص المملكة، وتحمي المَلك وكذلك الجزيرة، وسينقل له الخبرة التي يحملها من بلده في كيفية إدارة الوزارة، وإدارة شؤون الدولة، وإقامة الصناعة والتجارة، ابتسم الملك سعيداً بهذا الكلام، وأعطاه الأمان ليتحدث كما يشاء، فقال نور أنا الآن أعتبر نفسي أحد أفراد الأسرة، فقد أصبحت خطيبا للأميرة مايا، وغدا سأكون زوجها، وكما رأيت يا مولاي، لقد فعلت الكثير من أجل إعادة الذهب وكشف اللصوص والخونة، وعليه سأقدم وجهة نظري ورَأيي الصريح فيمن حولك، فكيف يا مولاي تركتم شارل وجو يكبران بهذا الحجم، إنهما الوحيدان اللذان يستوردان ويصدران للجزيرة هما الذين يحتكران كل بضاعة الجزيرة، فلو أوقفا نشاطهما ستجوع الجزيرة، وستقف الحياة بها، وأنتم لا تعرفون إلى أين يصدران، أو من أين يستوردان البضائع،

حتى إذا أوقفا نشاطهما تستطيعون استكمال المسيرة، إن روح الجزيرة في أيدي هؤلاء اللصوص، من يمتلك السوق يمتلك البلد، لأنه يمتلك قوتهم وأقدارهم، فيستطيع التحكم فيهم، إنهما يستطيعان تقليب الناس عليك يا مولاي، فلو رفعوا الأسعار ستنقلب الناس على الجزيرة وحاكمها، فلا تغضب مني.

أجابه الملك أن كل ما قاله صحيح، وأنه لمس عصب الحقيقة، فأكمل نور حديثه، وقد تشجع من وعى الملك، فقال: لقد رأيتهما يا مولاي وهما يرفضان إعادة الذهب، ورأيت جو وهو يهاجم شارل، لأنه أعاد الذهب، ولم يعد شارل الذهب إلا بالمؤامرة التي رسمت عليه، ولا يجب أن تكون مفاصل الجزيرة في أيدي اللصوص والخونة، فلابد من إبعادهما خطوة بخطوة، وإحلال أحد من أبناء الجزيرة مكانهما، أو إحلال الدولة نفسها مكانهما، ولابد من دخول الصناعة إلى الجزيرة، وتصنيع بعض الأشياء التي نستوردها، أو أجزاء منها، فلا يجب أن نستورد كل شيء، وهذا التصنيع يخلق فرص عمل لتشغيل أيدي عاملة في الجزيرة، أما التجارة لابد لها من أصول، وعمل دفاتر واستحداث وزارة تخص الضرائب، وقانون موحد للضرائب على الجزيرة كلها، لتنتهي قصة عداء القبيلتين، فكلنا أبناء جزيرة واحدة، لكن الخوف يا سيدي من جو، فهو رجل خطير، وإن كان شارل خطيرا مثله، لكنه يستطيع تعديل مواقفه، فلابد من معرفة خطوات جو وشارل ومراقبتهما، ولابد من تجنيد أحد عمالهما لمعرفة خطواتهما، لإبعادهما عن هذا المجال بالتدريج، فهما يا مولاي أصحاب النجمة، وهم أخطر البشر على العالم كله، فأنا أعرفهم جيدا،

فهذه النجمة هي نجمة داود، وهؤلاء ديانتهم الديانة اليهودية، وهم ملوك المال على مستوى العالم، ويتحكمون في مقدرات العالم، فيقيمون الحروب، ويحتلون البلاد ويجوعون البشر ويقتلونهم، ويفعلون ما يشاءون، وقد تجدهم يا مولاي يحضرون جيشا من الخارج، فيحتلون الجزيرة بعد أن يتحكما في مفاصلها كلها، فقد احتلوا دولة كاملة اسمها فلسطين وأبادوا معظم شعبها، فلا يوجد من يأمن جانب اليهود يا مولاي، ومن خبثهم انهم يتحكمون في كل شيء بتحكمهم في التجارة، فهم فقط من يشترون من المزارعين وأصحاب المهن.

أبدى الملك سعادته من ذكاء نور وحماسته، وربت على كتف نور وقال له: أنت مثل ابني، ولست فقط من ستكون زوج ابنتي، فتصرف في هذا الأمر كما تشاء، وخذ قراراتك بثقة، فكل أجهزة الدولة في يديك، فهل لديك شيء آخر لتقوله؟.

فقال له نور: نعم هناك شيء كبير وسوف أحاول خفض صوتي وأنا أتحدث به، إنه أخطر من جو وشارل يا مولاي، وهو الأمير زين، لقد رأيت كيف تجرأ على جلالتكم، فلا تأمنه، وأنا لا أستطيع أخذ أي إجراءات بشأنه، ولكني أستطيع أن أعطيك الرأي، فهذا الرجل لابد أن تحدد إقامته في بيته، فلا يستقبل أحدا ولا يزور أحدا حتى تأمن شره، فهو يتحين الفرصة للانقضاض على الكرسي.

ابتسم الملك، وقال يا نور ستكون رئيسا للوزراء، أي رئيسا للوزيرين، ولك أن تعين من تشاء، وتعطيني فكرة عن كيفية إدارة الوزارة كرئيس لها.

فرد نور: أن هناك أمران في غاية الأهمية، أولهما أن يكون لدينا جيش قوي، يستطيع الدفاع عن دولتنا، ونقوم بتسليحه بأسلحة حديثة، وسوف أسافر يا مولاي لشراء هذه الأسلحة، وكذلك نريد شرطة قوية، تستطيع حماية الناس وتأمينهم وأيضا تسليح الشرطة، لتتعامل ضد أي حركات انقلابية قد تحدث، ويكون سببها العم أو أصحاب النجمة، ولك أن تقوم بتعيين وزيرا للجيش من العائلة، لكن نستثني أبناء العم زين، بعدما ظهر عدائه لجلالتك، فالعائلة كبيرة، وجلالتك تعرف من يحبك ويخاف عليك، من يكون وزيرا للجيش سواء من العائلة أو خارجها لابد وأن يكون وطنيا ومحبا لك وللجزيرة، قال الملك بسعادة وفخر: أحسنت يا نور، فنعم القائد السياسي أنت، وبصفتك كرئيس للوزراء ستكون رئيسا لوزير الجيش، وتستطيع التحكم في كل شيء، وأنا أيضا رئيس لكم جميعا، وأستطيع المراقبة والتصحيح، فقال نور: أنه سيجعل للصناعة وزيرا، وللمالية والضرائب وزيرا، وللصحة وزيرا، وللتعليم وزيرا، فلابد من إقامة مصحات لعلاج الناس وإن كنا نبدأ بواحدة أو اثنتين،

ليكون بهما ما يلزم من الأجهزة والأدوية، سأقوم بتعيين نينو في وزارة الضرائب لأنه يعرف كل شيء عن الجزيرة، فهو رجل عاقل وذكي، يحب الجزيرة وغامر بحياته من أجلها، قال له الملك: افعل ما تشاء، فلك حرية التصرف، وأنت من الآن رئيسا للوزراء، وبعد غد يعقد اجتماعا للمستشارين والوزيرين، ولك أن تتخذ ما تشاء من الإجراءات لبناء عهد جديد بجزيرتنا.

دخل الحاجب على الملك وهو جالس مع نور، ليبلغه بوصول كارل رئيس الشرطة ومعه جو وصناديق الذهب، وأيضا وصول الحرس الذي ذهب مع الأمير زين وعاد بالذهب، ولكن بدون الأمير، فذهب الملك ونور لاستلام الذهب، وشكر الملك رئيس الشرطة، وشكره جو على العفو الملكي، لكن الملك أدرك أن ذلك العفو له فائدة أكبر، لأن جو بيده مقدرات الجزيرة فهو المستورد لكل احتياجاتها، تم استلام الذهب بالكامل، وعانق الملك نور على ما فعله، وقال له نريد مشاريعا كبيرة بهذا الذهب، فوعده نور بذلك، ثم قبل يده، وعاد إلى بيته ليستريح من عناء يوم شاق.

(٣٣)

عاد نور إلى بيته، فوجد حشدا كبير من الناس تنتظره أمامه، وما أن رأوه حتى هتفوا باسمه مُهَنِّئِينَ ببراءته من أقذر تهمة يتهم بها رجل، ألا وهي الاغتصاب، وطلبوا منه أن يأخذ حقه من جو، كرد شرف لمحاولته تلويث سمعته، فيحكم عليه بمثل عقوبة الاغتصاب التي كانت يريدها له، فقال لهم أنه سامحه ويكفيه ظهور براءته أمام الجميع وبحكم المحكمة، وأن الجميع قد عرف أن جو وابنته كاذبين، فهتفوا باسم الملك الذي أعاد الذهب من عمه ولم يحابيه للقرابة، فكان في الحق عادلا ووقف ضد أسرته، ووصفوه بالملك العادل، وأيضا وقوفه ضد اللصين جو وشارل، وشكروا نور على ما فعله لإعادة الذهب، وقالوا بسهم واحد اصطاد ثلاثة ثعالب، وتقدم جاد وقال له غدا سنقيم لك احتفالا كبيرا، كتهنئة منا على أشياء كثيرة، براءتك وإعادة الذهب، وتعيينك رئيسا للوزراء، وحفل زواجك من الأميرة، وكل هؤلاء مدعوون، فلا تتأخر.

اكتظ كافيه جاد عن أخره وكان من كثرة أعداد الناس، كان بعضهم واقفا لا يجد مقاعد، وكان ضمن الموجودين المستشار ريكو، وزعيما القبيلتين، ونينو ورامي فهما ملازمان لنور وكأنهما الحرس الخاص له، وعزفت الموسيقى ورقصت البنات، وكانت حفلة صاخبة استمرّت

حتى الصباح، لكن نور تركها عند منتصف الليل، حتى يحضر اجتماع الملك في الصباح، وفي هذا الاحتفال تحدث مع المستشار ريكو وزعيم الزرق والخضر عن طريقة جديدة لجمع الضرائب تحت اشراف نينو، فإنه سيكون وزير الضرائب، وسوف تكون فيها مساواة بين القبيلتين، فرحبوا بالفكرة وسأل نور الزعيمين عن رأيهما في مصالحة القبيلتين، لتكون الجزيرة عائلة واحدة، فرحبا، وفرح من حضر الحوار بهذه الموافقة، وذهب نور ومعه مساعداه أو صديقاه أو حارساه، وهو سعيد بحفاوة الناس به للنوم من أجل اجتماع الملك صباحا.

دخل الملك قاعة الحكم وقد حضر الجميع، المستشارون الستة، والوزيران، وزعيما القبيلتين، ورئيسا الجيش والشرطة، ورئيس المخابرات، ونور ومعه نينو ورامي فقد استأذن الملك لحضورهما، ولم يدعى الأمير زين للحضور كما كان متبعا، فقد خرج من حسابات الملك، فتحدث الملك عن معاناته في تعيين الوزير كل عام، تارة أخضر وتارة أزرق، كذلك المشاكل التي تعانيها الجزيرة من المظاهرات والحرائق والخراب الذي لحق بها جراء انقسام الجزيرة لفريقين، حتى وصلنا إلى تعيين وزيرين بفكرة نور، وعليه أنه يرى تعيين نور رئيسا للوزراء، فهو يملك فكرا جديدا من عالم خارجي

متقدم، وليتفضل نور بعرض ما لديه، فتحدث نور وأسهب في فضل الاتحاد، وأن نكون قبيلة واحدة وأخوة، وكيف رأوا خيانة جو وشارل، فهما يستغلان انقسام الجزيرة ليكبرا أكثر وأكثر، وقد يكونا من أشعل هذه الحرب والفرقة بين القبيلتين، ليسرقا ذهب الجزيرة، وكيف أعاد الملك الذهب ووقف في وجه عمه من أجل الجزيرة، ورغم انه ذهب جده وهو من وجده، إلا أنه أعادة للجزيرة، إنه الملك العادل والمحب للجزيرة وأهلها، فأهل الجزيرة هم أهله، ولذلك فضلهم على أهله وعلى نفسه، وترك كمية الذهب للجزيرة، وعرض نور عليهم أن الضرائب ستكون قيمة واحدة على كل الجزيرة بالمساواة وسيكون المسؤول عنها نينو، فهو وزير الضرائب ومحصلها، لأنه رجل وطني، ووقف ضد أكبر قوى بالجزيرة، لأنه يحبها فقد رفد وسجن من أجلها، وسيكون هناك مساعدين له لتحصيل الضرائب على كل المشاريع الموجودة بالجزيرة، وستكون قيمة الضرائب هي عشر الربح فقط، أما الوزيرين الحالين فوزير الخضر سيكون وزيرا للزراعة، ويحدد المحاصيل المطلوبة للزراعة، وتجهيز التقاوي وسبل الري وكيفية بيعها وسعرها، أما وزارة الصحة سيكون مسؤولا عنها الطبيب الأول في الجزيرة، وعلى رامي إبلاغه ودعوته للقائي، وسيقوم بإنشاء مركزين طبيين كبداية في كل جانب من الجزيرة مركزا، وتعليم عددا من راغبي العمل كأطباء

مهنه الطب، وسيقوم بتعيين الأطباء وتوفير العلاج، فأنا أعرف من أين يستورد أصحاب النجمة بعض أنواع العلاج كما يطلبها كبير أطباء الجزيرة، وسوف ننظم هذه العملية، وأما عن وزير الزرق فسيكون مسؤولا عن الصناعة، فكل الورش على الجزيرة وكل المشاريع ستكون مسؤوليته، وأن يسهل عملها وييسر كل أمور الصناعة، ورئيس الجيش هو وزير الجيش وعلية أن يزيد عدد الجنود وتدريبهم، فنحن نريد جيشا قويا، وسنوفر له ما يحتاجه من سلاح، وبالمثل قائد الشرطة هو وزير الشرطة، وأيضا نريد شرطة قوية تحمى الجزيرة والملك، ورئيس المخابرات سيكون وزيرا للمخابرات، ويطلب ما يحتاجه من معدات وعربات وتعيين رجال على قدر عال من الذكاء، وسنبدأ العمل من اليوم، وسيكون لنا كل أسبوع اجتماعا وزاريا، للوزراء فقط وسنختار مبنى لرئاسة الوزراء بحيث يستقبل أي وزير في أي وقت للاستشارة، وكذلك للاجتماع الأسبوعي.

أتم نور حديثه، وسأل الملك إن كان يريد أن يزيد شيئا أخر، فقال له لا شيء، ورفع الملك الجلسة وطلب من وزير المخابرات الانتظار وينصرف الباقي، ووجه له الملك أنه يريد تجنيد رجال عند جو وشارل نريد مراقبة كل حركاتهما، وتجنيد البحارة لنعرف أين

يبحرون بالمراكب، وأين يصدران ويستوردان، نريد كل شيء عنهما وبالتفصيل، أريدهما ككتاب مفتوح، فقال له الوزير علم وينفذ، ثم انصرف، فقال الملك لنور: - زواجك بعد أقل من اسبوعين، وستعيش هنا في القصر في الجناح الغربي، فهو منفصل وله باب خاص، لأن ابنتي لن تبتعد عني.

فرد نور بالموافقة، فلا يعقل أن يعارض الملك، وأصبح نور من سكان القصر الملكي، ووصل للقصر ولم يمض عليه عام في الجزيرة، فتذكر دعوته في العمرة - رب ثبتني في وظيفتي واجعلني ملكا بها، فابتسم وحمد الله.

(٣٤)

جهز المستشار ريكو مقرا لمجلس الوزراء في يوم واحد فقط، في مبنى ملاصق للشرطة وتابع لها، ليكون في حمايتها، وجلس نور ومعه رامي ونينو به، وطلب منهما عشرة أشخاص يجيدون القراءة والكتابة والحساب، وكذلك شيوخ الجوامع لأنهم يكتبون ويقرأون العربية، وكل من يجيدها أحضره، ليتم تعينهم كمدرسين بأجر شهري قيمته خمسمائة شلن، لتعليم أهالي الجزيرة أطفالا وكبارا، فخطته أن يبدأ بعشرة فصول تعليمية، فهو الآن ليس لديه الوقت ليعمل مدرسا، وأحضر رامي الطبيب كما كلفه نور بذلك، فالطب في الجزيرة وراثي يعلمه الأب لأبنائه، ويستخدم الأعشاب كدواء، والطبيب الواحد يعمل بكل التخصصات، فيما عدا العظام ويعرف بالمجبراتي، وسلمه نور وزارة الصحة وطلب منه العمل من أجل الجزيرة وتعليم أطباء جدد، فصحة الناس أمانة بين يديه، وأكد على نينو مسئولية تحصيل الضرائب، لأنهم لن يستطيعوا إنجاز أي عمل بدون مال، وزف إليه بشارة أنه سيترك له بيته ليعيش فيه هو وأسرته، بعد انتقاله للحياة بالقصر، فهذا البيت كمكافئة له من الملك على ما قدمه من أجل الجزيرة، فقام نينو وعانقه من فرط سعادته بالخبر، وقال لرامي عليه أن يعود للمبيت في بيته، فهو وحيد والده الذي اشتكى من غيابه،

ووعده نور عند زواجه سيقدم له بيتا جديدا كهدية من الملك، وطلب من وزير الصناعة صناعة مركب يكون أكبر من مركب جو وبسرعة، ومن الممكن أن تشترك أكثر من ورشة في صنعه، وطلب من وزير المخابرات أن يصل إلى ما طلبه منه الملك وبسرعة، وأن يكون يقظا، لأنه من المؤكد أن تحاك مؤامرة على الملك بعد إعادة الذهب، فالتلاسن الذي تم من الأمير زين للملك أكبر دليل على كراهيته له، وأكد عليه أن لا أحد فوق المراقبة من أجل حياة الملك الذي يضحى بكل شيء من أجل الشعب، وقام نور بالمرور على كل الوزارات، والوقوف على سير العمل بنفسه.

تفاجأ جو وشارل بتصنيع المركب، وعرفا أنه بأمر من رئيس الوزراء الأمير نور، فأيقنا أن هناك كارثة قادمة فوق رأسيهما لا محالة، وتناقشا في الأمر، فمن يوم أن جاء للجزيرة وهما في مشاكل، وبدأ العد التنازلي لنهايتهما، فبدأ التخطيط للخلاص منه، قبل أن يتخلص منهما، فهذا المركب يصنع ليحل محل مركبيهما، فسوف يستورد نور بها، سواء لنفسه أو باسم الجزيرة فالنتيجة واحدة، ايقافهما وعزلهما، وقد أصبح الآن من العائلة المالكة، وصعوده مستمر بلا توقف وبسرعة البرق، فقد حان قتله، قبل أن يقتلهما تهميشا.

دار حوار بين الأمير زين وابنه الأمير جاك عما وصل إليه الحال مع الملك، والتلاسن بينهما الذي أظهر العداوة بينهما، فأصبحت في العلن بعد أن كانت في الخفاء، فكان يحب أن يتحلى بالحنكة، فقد فاز الملك بالذهب وحصدا هما العداوة، بل وتهدِيدَ زين بالإعدام، فلا أمان مع الملك في وجود نور، إضافة إلى أن الملك يكرههما، لأن الكرسي لهما من بعده، لذلك لابد من التخلص أولا من نور، ثم بعد ذلك يتخلصون من الملك، ليصبح الحكم لهما، فتواصل الأمير زين بجو وشارل، فهما متفقين معه على كل شيء، والمصلحة واحدة والطريق واحد، وبعد مصادرة الذهب أصبحوا في كفة واحدة، فقرروا جميعا التخلص من نور، ثم التخلص من الملك، ليصل الأمير جاك إلى الحكم، وبدأوا في التخطيط لذلك.

نسى رئيس المخابرات صداقته بالأمير زين من أجل مصلحة الدولة، بعد أن وجد فكرا جديدا لدى الملك، بخلاف فكر إنجاب الولد، ووضع أمام نور ما وصله من معلومات خطيرة، بأن هناك مؤامرة لاغتياله، ثم اغتيال الملك، ليصل جاك للحكم، ويشترك في المخطط الثلاثي زين وجو وشارل، بأموالهم ونفوذهم، فاستدعى نور كارل وزير الشرطة، واخذاه معهما إلى الملك، ووضعوا بين يديه المعلومات، تجهم الملك وقال إنه كان يتوقع كل هذا، ولكن ليس بهذه السرعة، إنهم لم

يضيعوا الوقت، وعلينا أيضا ألا نضيع الوقت، ولكن أمامنا حفلة عرس نور بعد يومين، وعليك يا كارل تأمين الحفل تأمينا كاملا، وبعد ذلك نتخذ الخطوات اللازمة، فسأله نور: هل نقوم بدعوة الثلاثة على العرس؟، فسأله الملك عن رأيه، أجاب بعدم حضورهم، حتى يعلموا أنهم في خطر، فربما تراجعوا عما يخططون له، فقال له الملك، أنا أريد أن يحضروا، وأن يكون حولهم حراسة شديدة، دون أن يشعروا بها، فيجلس حولهم حرس بزي مدني، ونرى انفعالهم على كلام محدد سوف أقوله، سألقي عليهم قنبلة، ستكون بالنسبة لهم صاعقة، قرار هام للغاية، وسيحول مجرى الجزيرة، وسيرى الجميع، لكن أهم شيء هو التأمين الكامل لنور، فأصدر الملك أمره لكارل، أن يجعل حارسين له بجوار سائق العربة، وحولها من كل جانب حارسان بخيولهما وكذلك خلفها، ثمانية حراس مسلحين لحراسة رئيس الوزراء نور، وتأمين حفل الزفاف لأنه فرصتهم للخلاص منا.

(٣٥)

أقبل الناس لحفل العرس أفواجاً، فأغلقت الطرق المؤدية للقصر ازدحاماً، واحتشدت في ساحة الاحتفالات أعداد غفيرة، حتى امتلأت عن آخرها، فكان من بخارجها أكثر ممن بداخلها، ولأول مرة تجتمع القبيلتين في سعادة، ويتداخلون جلوساً وحوارا، فلا يوجد فواصل بينهم، فقد استطاع نور أن يصنع المعجزة، ويجعلهم أسرة واحدة، وينهي التحزب الذي صنعه أصحاب النجمة، محور الشر في الجزيرة والذي يقوده الأمير زين، وأقر الجميع بذلك التغيير الكبير، وهذا سبب حبهم لنور وسعادتهم به، وجلس جو وشارل بالصف الثالث، فقد أصبحوا بأفعالهم غير ذي شأن، فالصف الأول والثاني لأسرة الملك وللوزراء ورجال الدولة، وأجلس نور العم آدم والد ورامي وزوجته وابنته ليل في الصف الأول، اعترافا منه بفضلهم عليه، لأنهم من أنقذوه وكان شبه ميت، فأطعموه واستضافوه وكان معدما، ووجدوا له العمل عند وصوله الجزيرة، فهم أصحاب فضل عليه كما قال للملك، وهذا الكلام أسعد الملك وزاد من شأن نور عنده، ولم يجلس زين وأسرته مع العائلة المالكة في الصف الأول.

لقد أصبح غير مرغوب فيه ومهمل، لذلك جلس مع شركائه الشياطين في الصف الثالث، وعلى المنصة اصطفت المقاعد الفخمة الوثيرة، وجلست أخوات العروس بجوارها، وفي المنتصف كرسيان كبيران للملك والملكة أم العروس، وعلى يمين كرسي الملك، كرسيان للعروسين مطعمان بالورود، بدأت الموسيقى تعزف، والراقصات يرقصن في المساحة التي أمام الكراسي، وظهر على المسرح

العريس نور، ببدلة العرس ووجهه الوسيم، فأشعل قلوب البنات، وهتف الجميع، وتعالت الهتافات والزغاريد تحية للعريس وفرحا به، فقد امتلك قلوب أهل الجزيرة بحبه، وحيا نور كل الحضور في سعادة عارمة، وفجأة ظهر على المنصة الملك وزوجته وبينهما ابنتهما العروس الأميرة مايا، وهي في أبهى أناقه وجمال، فاشتعلت الساحة بالهتاف والتهليل والتصفيق والزغاريد التي جلجلت المكان، اقترب نور منهم، وسلم على الملك، وقبل يده، وكذلك فعل مع الملكة والدة العروس، ثم سلم على مايا، وأخذ يدها وسار بها، حتى اقترب من حافة المنصة، وقبل يدها وسط تصفيق الناس الذي لم ينقطع، وحسب عاده الجزيرة ومراسم الزواج قبلها من فمها، بما يعني الموافقة منها وإتمام الزواج، وسط هتافات الناس وصراخ البنات، ثم بدأ يرقصان على أنغام الموسيقى الهادئة، وسط سعادة الجميع، ثم جلسا وبدأ الرقص والغناء.

الموسيقى والغناء يملأن المكان، والكل في عالم أخر من السعادة، أشار الملك لكارل وزير الشرطة إشارة لم يلاحظها سواه، مفادها أن كن يقظا، لقد حانت اللحظة، ورد كارل بالإشارة أيضا أنه مستعد، وكل شيء تحت السيطرة الكاملة، فوقف الملك وأشار بيده للجميع، إشارة الصمت، وقال:

- أيها الشعب العظيم، أسجل سعادتي بزواج ابنتي من رئيس وزراء مملكتنا، الذي صنع من أجلكم ومن أجل الدولة الكثير، وهذا يعنى أن الأميرة مايا قد كبرت، وعليه فأعلن للجميع هذا القرار الهام، قرار ملكي مني أنا الملك كاي، أقرر أن الأميرة مايا هي ولي عهد المملكة، وأن السيد نور رئيس الوزراء أصبح من الآن الأمير نور، ويعتبر فردا من العائلة الملكية ورئيسا للوزراء، وهذا القرار يعمل به من اليوم، ادهشت المفاجأة الجميع، فهللت الناس في سعادة، واسقط في يد الثلاثي، وكأنها نهاية العالم والطامة الكبرى ونهاية حياتهم، أما زين أحس أن هذا القرار هو الموت بعينه، فقد خرج الحكم بهذا القرار عن الأمير جاك، وهذا ينم عن الحقد الدفين له، فالحكم خرج من العائلة إلى عائلة مختلفة، لأن زوج الأميرة من خارج العائلة، وعليه فأولادهما الذين سيرثون الحكم من عائلة الزوج، لقد ضاع الحكم، وبهذا القرار قد كتب الملك شهادة وفاته، فلم يتحرك زين من مكانه أو تظهر عليه أي علامات غضب هو أو ابنه، فقد تعلم عدم التلاسن منذ جلسة إعادة الذهب، فانقسمت العائلة الملكية الكبرى بين موافق ورافض، ليبدأ عهد جديد من صراعات العائلة الكبرى، خاصة أولاد الأعمام وهم كثيرون.

(٣٦)

السعادة هي أقل ما يوصف عن ما يعيشه الأمير نور، لقد تجاوز كل سعادة الدنيا، الزوجة الجميلة، والمكانة العالية، والتقدير الذي يفوق الوصف، الخدم بأعداد كبيرة، قصر منيف بحدائق غناءة، إنه حلم يمشي على الأرض، عشرة أيام قضاها في رغد، وجاءه رامي ليعلمه بأمور الدولة كما طلب منه، دخل الخادم على نور ليبلغه أن السيد رامي ينتظره بالصالون، فخرج إليه، وبعد السلام والأحضان أبلغه رامي بكل شيء عن الوزارات، وسير العمل، وخرجت الأميرة لتحية رامي لأنها تعرف أنه بمثابة أخيه، وسأله نور عن المركب، وأخبار العمل به، فأبلغه أنه خلال أسبوع سيكون جاهزا للتدشين، ثم أخبره أن هناك موضوعا خاصا فرد عليه: - قل ما تشاء.

- كبير قبيلة الخضر يريد خطبة أختي ليل لابنه، لكن والدي طلب منه أن يطلبها منك يا سمو الأمير، فأنت أصبحت بمثابة ابنه الأكبر، ثم إن الرجل أراد بهذا النسب التقرب إليك، هذا ما قاله والدي، وأنا أرى أنه تفسير صحيح جدا، فأبي أمامهم من سنين، فلماذا يخطبون أختي ليل الآن؟

ابتسم نور سعادة بهذا التكريم، وقال لرامي: - هل ليل موافقة؟

- إن وافقت أنت فكلنا موافقون، وإن رفضت فكلنا رافضون.

فضحك نور وزوجته مايا وقال نور: - أنا موافق.

- أتعرف أنه أول جواز يجمع القبيلتين؟

- أنا سعيد جدا بذلك.

- كبير الخضر ينتظر تحديد الموعد، ليأتي ويخطب ليل.

ضحك نور، وأراد أن يرد التكريم للعم آدم فقال: - يأتي غدا عند المساء، لكن في بيت والدها، وسأكون هناك أنا وزوجتي الأميرة مايا ولي العهد، ليل تخطب من بيت والدها، ونحن في خدمتها.

فرح رامي، ودمعت عيناه سعادة من التقدير، وعانق نور، وشكر الأميرة، وقبل يدها، ثم غادر وهو يكاد يطير من النشوة.

قرر الملك بعدما علم باستهداف الخونة لنور، أن يزيد الحراسة على موكبه، فلم يكتف بالثمانية حراس، ستة حراس بالخيول واثنان بجوار السائق، وإنما أمر بإضافة عربتين، عربة في المقدمة، وأخرى في المؤخرة، وتكون العربة مكشوفة حتى يرى الحرس الطريق، ويكتشفون أي تحرك غادر، وأي أكمنة تنصب له، كل عربة بها ثمانية من الحرس، بخلاف اثنين بجوار السائق، أي تصبح الحراسة من ثمانية وعشرين حارسا، وقال لن نغامر أبدا فالخونة يزدادون هذه الأيام.

وصل نور بموكبه الجديد ومعه زوجته إلى بيت العم أدم، فقد أرادت مايا بالذهاب معه أن ترى هذه العائلة الجميلة التي استقبلته وهو بين الحياة والموت، ووقفت بجانبه إلى أن استطاع الوقوف على قدميه، وجد نور الجميع في استقباله، فكان زعيم قبيلة الخضر وزوجته وأبنائه وإخوته، وكذلك زعيم قبيلة الزرق وزوجته وأبنائه، فقد حضر ليستقبل الأمير نور، وأيضا ليستقبل زعيم الخضر فالعروس من قبيلته ولابد أن يكون حاضرا وبلا دعوة، فهي من الزرق أي تعد كابنته، وأيضا هذا أول زواج يجمع بين القبيلتين على الحب، ليصبحا عائلة واحدة بهذا التصاهر، فالعم آدم وزوجته وليل ورامي، قد تحدثوا كثيرا في أشياء هامة، وكان أهم ما قاله نور، أنه سعيد بتلك الزيجة لأنها بداية عهد جديد من المحبة سيجمع بين القبيلتين المتناحرتين طيلة حياتهما، وأنه قد آن الأوان، لتقف هذه الحرب لنصبح عائلة واحدة، وقال لهم نريد أن يتم هذه الزواج بسرعة، ليجتمع شمل الجزيرة، فتمت الخطبة، ودخل نور مع آدم وزوجته لتهنئة ليل، وأعطاها مبلغا من المال ليس بالقليل، فشكره آدم وقال له، أنا لست بحاجة إلى المال، نحن بحاجة إليك، فأنت ابن بار لنا يا سيدي الأمير، فقال له: لا تقل سيدي الأمير، ولا رئيس الوزراء، ولكن قل نور فقط، قال له آدم: - إنني في منتهى السعادة، وأنا أقول لك يا سيدي الأمير، فعندما تصبح أميرا وأنا والدك، فأنا بهذا أصبح ملكا.

ضحكوا جميعا، وخرج نور بعد أن تمت الخطبة ليعود إلى القصر، وخرج خلفه زعيما القبيلتين وعائلتهما بعرباتهم.

(٣٧)

انطلق موكب نور، وكانت مايا في منتهى السعادة من هذه الزيارة، فقالت لنور أنها أول مرة تجلس مع أسرة بسيطة، لكنها كقلب واحد، ترى في عيونهم الحب والسعادة رغم فقرهم، أحست بحبهم لها وحفاوتهم بها، فلم ترى قط هذه البساطة، ولا هذا النقاء من قبل، أسرة يقطر فمها حبا، وتشع عيونها حنانا، لم أرى أسرة تحبني كل هذا الحب، ابتسم نور سعيدا لسعادتها، وقبل أن يرد إذا بجلبة وصياح وصراخ بالخارج، وإذ بالعربة تسرع وتقفز وكأنها شخص وطأ جمرة من النار، أو تهرب من شيء يجرى خلفها، نظر من زجاج العربة فوجد هجوما على عربته، عرف أنها محاولة لاغتياله، وسمع وقع أقدام على سقف العربة، فقد قفز الحارسان اللذان بجوار السائق إلى أعلى العربة لحمايته والهرب به.

حاول نور فتح الباب، فرفض الحارسان، وأحكما إغلاق الأبواب، فقد هجم على الموكب مجموعة من الخونة تقدر بأكثر من عشرين شخص مسلح، كانوا يختفون بين الأشجار، وقامت عربة الحرس الأمامية بإخلاء الطريق لعربة نور، وسدت الطريق على الخونة وحجزتهم، لتهرب عربة نور، فأنقذوه وزوجته بحماية الحرس الممتطي للخيول الذين تصدوا للخونة، فقتلوا اثنين منهم، وجرح

منهم عدد أثناء الفرار، وقد اخترق سهم عربة نور من جهة مايا، ورشق بذراعها، فقام نور بنزعه وتنظيف الجرح وربطه بغطاء رأسها.

كانت العربة تقفز قفزا، وتقطع الطريق قطعا إلى القصر، وتصدى للخونة حراس العربتين الأمامية والخلفية، ولكونهما مكشوفتين فقد اكتشفوا الهجوم وقت حدوثه، ودار بينهم قتال شديد حامي الوطيس، وانضم لهم وساندهم زعيما القبيلتين وأولادهم وإخوتهم، الذين كانوا يسيرون خلف الموكب، فكانت معركة كبيرة بين الفريقين، سقط فيها عشرة قتلى من الخونة، وتم القبض على ثلاثة، وفر الباقي، ومن الحرس مات ثلاثة، وسقط خطيب ليل قتيلا وجرح والده وأخاه وعمه، وكذلك ابن زعيم قبيلة الزرق الأصغر جرح بسهم نافز بالقلب وحالته خطيرة، كما أصيبت زوجته.

أقام الملك الدنيا ولم يقعدها، وهرع إليه وزير الشرطة، ووزير المخابرات، فصرخ فيهما الملك، أين الأمن وأين الأمان؟، كيف تتم محاولة اغتيال الأمير نور رئيس الوزراء هو وزوجته؟، وكيف تجرح ابنتي بالسهم؟، وكيف يصل السهم إليها من الأساس، إذن ما فائدة الحرس؟، فلو كان السهم مسموما لماتت، هذا تسيب وإهمال، أريد أن أعرف الفاعل فورا.

دخل الحاجب على الملك يخبره أن مساعد وزير المخابرات يريد الدخول، فأعطاه الإذن فدخل الرجل ملهوفا وهو يصيح: - لقد أحرقوا المركب يا مولاي.

- المركب الجديد الذي يشيد؟

- نعم يا مولاي، كان العمال يدهنون المركب من الداخل، ولم يراهم الخونة الذين جاءوا لإحراق المركب، ظنا منهم أنه لا يوجد أحد بالمركب، واستطاع العمال الإمساك بأحدهم وسائق العربة التي حملت بمادة الاشتعال.

- وأين هم؟

- ذهبوا بهم إلى دار الشرطة.

- هل العربة تحمل أي علامة؟

- لا يا مولاي، أفهم ما تقصد، ورغم حذرهم فقد وقعوا، وتم القبض على اثنين منهم، السائق وأحد المنفذين.

نظر الملك إلى الوزيرين وقال وهو في ثورة غضبه: - افعلوا شيئا، أريد نتيجة اليوم.

أحضر وزير الشرطة ووزير المخابرات، الخونة الثلاثة الذين تم الإمساك بهم في واقعة مهاجمة موكب الأمير نور، وجلس وزير المخابرات يستجوبهم بنفسه، ليعرف من المحرض، ومن أمدهم بالمال والسلاح، وذهب وزير الشرطة ببعض رجاله إلى موقع المركب المحترق، وطلب من رجاله استجواب من أحرقوا المركب أيضا، وهو يستعد للخروج جاءه نبأ ذهاب مجموعات من قبيلتي الخضر والزرق إلى منازل الثلاثي زين وجو وشارل لإحراقها وقتلهم، وذلك انتقاما لوفاة العريس ابن زعيم الخضر، وقد لحق به ابن زعيم الزرق، أثناء حمايتهم لموكب نور، فمات العريس يوم خطبته، وابن زعيم الزرق ذو الخمسة عشر عاما بسهم في قلبه، فارسل وزير الشرطة فرقة من رجاله إلى موقع المركب، وأسرع هو إلى موقع تجمهر الأهالي قبل حدوث الكارثة الكبيرة بإحراق منازل الثلاثة أصل الشر بالجزيرة، فقسم رجاله لمجموعتين، وذهب هو على رأس مجموعة إلى منزل الأمير زين، والأخرى بقيادة أكفأ رجاله إلى بيتي جو وشارل المتجاورين بالمنطقة الغربية.

خرج سكان الجزيرة بقطبيها الأخضر والأزرق، كل منهم يحمل شعلة لهب، وذهبوا إلى منزل الأمير زين وجو وشارل، فقد تأكدوا بإحساسهم أن هؤلاء الثلاثة هم من وراء محاولة اغتيال الأمير نور،

فزعيما القبيلتين حضرا المحاكمة، وشهدت واقعة استرداد الذهب المسروق، وما حدث كان كتابا مفتوحا، فهم أصحاب المصلحة في التخلص من نور، وهم من سرقوا الذهب وعارضوا في إعادته، فأصبح نور عدوهم الأول، لأنه أعاده منهم بذكائه وحيلته، وهم من قتلوا ابنيهما، بأيدي الخونة الذين استأجروهم ولا بديل عن القصاص، ذهب زعيم الخضر إلى بيت زين لإحراقه والقضاء عليه، وعلى ابنه جاك، ثأرا لابنه، ومعه أكثر من ألف رجل يحملون شعلات اللهب، وكذلك زعيم الزرق خرج بنفس الطريقة والعدد إلى بيتا جو وشارل المتجاورين ليثأر لابنه أيضا، وصل زعيم الخضر ورفاقه إلى بيت زين، وراحوا يصيحون: اخرج لنا يا زين، لقد قتلت ابننا يوم عرسه، وقتلت حرس نور، وحاولت قتل نور وزوجته. وألقوا بالشعل على بيته الذي بدأ يحترق، وفي هذه اللحظة وصل رجال الشرطة بقيادة كارل، فحال بين دخولهم القصر، ووعدهم بأن ستتم التحقيقات النزيهة، وطلب منهم أن يعودوا لمنازلهم، وسوف يأخذ كل ذي حق حقه، وهذا هو وعد الملك نفسه لهم، فلما سمع زعيم الخضر وعد الملك، ووجد القصر قد احترق، اكتفي بذلك مؤقتا، وتراجع عن اقتحام القصر، وقال سأعود على أن يأتي حق ابني وأشهد القصاص من قاتله.

داخل قصر زين تملك الرعب من كل من فيه، ونظروا فوجدوا تجمهر لا حدود له، المئات يرفعون شعل النار، ويقذفونها على القصر وبدأت الحرائق تلتهم محتويات القصر، وقتها صاح جاك في والده: - ألم أقل لك إن اغتيال نور سيأتي علينا بالوبال؟ كان من الممكن أن يقتل بأي طريقة أخرى غير هذه، إن تهورك وغضبك السريع قد أتى علينا بالخراب، وأعتقد أن هذه هي نهايتنا، لو استمعت لمشورتي لقتل نور وهو على سريره، أنسيت أن أختنا داخل القصر، ولنا جواسيسنا هناك؟ كنا وضعنا له السم وانتهى كل شيء، لقد انتهت أسرة زين إلى الأبد بتهورك وسترى.

أوقف رجال الشرطة الهجوم على منزلي جو وشارل، ولكن كانت الحرائق قد أتت على البيتين، ففضوا المظاهرة ووعدهم بأن كل ذي حق سيأخذ حقه، واستطاعت الشرطة أن تعيد الهدوء إلى الجزيرة مرة أخرى، وعادت إلى دار الشرطة لتواصل وتتابع التحقيقات مع الخونة الذين تم القبض عليهم.

(٣٨)

أسرعت الملكة رنا إلى جناح الأميرة مايا فور علمها بواقعة الاعتداء للاطمئنان عليها وعلى نور، فالحادثة جديدة على الجزيرة ولم تحدث من قبل، ونور كان هدفهم وهو من أحبته، ولم تحب غيره، أنظف وأطهر قلب عرفته، لكنها أحست بخوف أن يكون والدها له يد فيما حدث، لأنها ستكون كارثة، ولن يغفر له الملك ذلك، ثم كيف يفعل أبوها هذا وهو من زوجها من الملك، وقال زواج سياسي، أنسي السياسة والحنكة؟، وسيطر على عقله وقلبه الحقد والكره؟، بالتأكيد هذا بسبب واقعة الذهب المسروق، ففيها ارتفعت الحواجز وحدث التلاسن، ولكن لو كان هو من فعلها، أيضحي بي وأنا في قصر الملك؟، إنه لا يفكر في ولا أعنيه، فلا يعنيه إلا الكرسي والسياسة التي دفن قلبي بسببها، ليحيا هو حياة الملوك، ثم لماذا يفعل هذا وهو فعلا يحيا حياة الملوك هو وجاك الابن المدلل والملك المنتظر؟ لعنة الله على الكرسي إنه يميت القلب والحب والعلاقات، حقا إن الحكم عقيم.

وجدت رنا الملك ببهو الجناح هو والأسرة بأكملها، زوجاته وبناته، جاءوا جميعا للاطمئنان على العروسين، أما مايا فكانت في الغرفة ومعها طبيبة القصر ونور، فدخلت الغرفة مسرعة وكانت الطبيبة قد

انتهت من تضميد الجرح، فعانقت مايا وهنأتهما هي ونور على النجاة، وخرج الجميع إلى حيث يجلس الملك، حيث كان يصيح من شدة الغضب: - كيف يجرؤ هؤلاء الخونة على هذا العمل، لقد كادوا أن يقتلوا ابنتي، لقد أصابها السهم وكان من الممكن أن يودي بحياتها، وكان المراد قتل نور، الذي قدم في شهور ما لم يقدمه الوزراء على مدى تاريخ الجزيرة، إن من فعل هذا الفعل لابد أن يقتل، فالجزاء من جنس العمل.

حاول نور أن يهدأ من غضب الملك، فقال: - التحقيق سيبين كل شيء يا مولاي.

فرد الملك منفعلا: - من فعل ذلك، له مصلحة في الخلاص منك، حتى يخلو له المجال، فيتخلص مني بعد ذلك، وهو معروف.

أحست رنا أن الملك يشير بالاتهام لوالدها، فهو صاحب المصلحة وكأنه يريد معرفة رأيها، لذلك رأت أنه لابد وأن تتحدث، فقالت: - إن هذا عمل جبان، ومن يقدم عليه هو جبان مثله، مهما كان وضعه وقرابته، وأنا زوجتك ومعك في نفس الخندق، فمصلحتي هي مصلحتك ومصلحة ابنتي، وهي مصلحة المملكة كلها.

هز الملك رأسه مصدقا على قولها، وهدأ نسبيا، وعلم أنها تعرف ما يدور بخاطره، وأنها معه وليست ضده، فحدثت رنا نفسها في حوار داخلي يغلفه الحسرة، إنه قبل أن يحاول اغتيال نور فقد اغتالني أنا ابنته، فزوجني بالملك الذي في مثل عمره، من أجل الكرسي.

تنهد الملك وقال: - لقد قاموا أيضا بإحراق المركب قرب انتهاء تصنيعه.

فرد نور: - إحراق المركب يا مولاي ما هو إلا لعبة تمويهية، وفي نفس الوقت هو هدف مطلوب، ليصبح إصابة هدفين بسهم واحد، وهو أن يحرقوا المركب فتذهب الأنظار والشرطة نحو مكان الحريق، فتقل حراسة موكبي فيسهل قتلي، هذا هو المخطط، ولكن بفضل الله أخطأوا واختلف التوقيت، وأنهينا حفل الخطبة قبل توقعهم وحساباتهم، فقال له الملك: - إن تحليلك صحيح وسليم مائة بالمائة، وأحييك على حسن تفكيرك.

فقال نور: - يا مولاي لا يجب أن نجلس هنا، والجزيرة حالها غير مستقر، أنا ذاهب لمتابعة التحقيق، وعمل كل ما يلزم.

فرد الملك: - رتب لجنازة العريس والطفل، وكذلك الحرس غدا في جنازة مهيبة.

- سمعا وطاعة يا مولاي، وعند عودتي سأوافيك بكل ما وصلنا إليه.

صارت التحقيقات على قدم وساق مع من تم إلقاء القبض عليهم، فمنهم من أنكر أو رفض الكلام، وبعد الضرب والتعذيب أفصح واعترف بكل شيء، فاتسعت الدائرة، لكنهم لا يعترفوا باسم المحرض، فقد استخدم أصحاب النجمة مكرهم المعروف عنهم على مر العصور وهو الخداع ثم الخداع، واستخدموا وسيطا ممن يتعامل مع منفذي الاعتداء على الأمير نور، ومن أحرقوا المركب، بحيث لا يعرفهم أحد، ويكونون بمأمن إذا تم كشف المخطط، وتم القبض على الجميع، كل المنفذون والوسيط أيضا وخرجت الاعترافات صريحة واضحة كنور الصباح، الأمير زين هو من رتب الاعتداء على نور، وجو وشارل من أحرقا المركب، وذهب نور ووزير الشرطة ووزير المخابرات إلى الملك ليضعوا الأمر بين يديه، وينتظروا الأوامر، واتفقوا على ترتيب الجنازة بعد عرض نتائج التحقيق على جلالة الملك.

أثنى الملك على المجهود الذي بذل، ووصولهم للجناة وإن كان يعرفهم، وليس هو فقط من يعرفهم، بل كل من بالجزيرة يعرفهم، والدليل التظاهر أمام منازلهم وإحراقها.

فسأله نور: - جئنا لنعرف أوامرك.

- عقاب إحراق المركب مصادرة مراكبهم، والقبض عليهم وإعدامهم، لأنهم اشتركوا معا في الجريمتين.

فقال نور: - يا مولاي، لا توجد مشكلة في إعدام جو وشارل، المشكلة في إعدام زين، فسيحدث شرخا في العائلة، ويتسبب في انقسام في العائلة الملكية.

- لكنه قاتل، وكان سيقتلني أيضا.

- لدي فكرة.

نظر الجميع في ترقب، وانتظروا أن تكون فكرته ستخرجهم من هذه المشكلة التي ستحل بهم، فقال: - نجعل الناس تقتلهم، ونظهر كمن ندافع عنهم، وتظل أيدينا بيضاء.

فرد الجميع: - كيف؟

- الشرطة تقبض عليهم غدا قبل الجنازة بساعة، ويركب الثلاثة عربة واحدة، وتسير العربة في اتجاه الجنازة، ورجال المخابرات تندس وسط المشيعين لتحفز الأهالي كي يقتلوا من بعربة السجناء، فهم قتلة العريس، والجنود الثلاثة، ووزير المخابرات نفسة يقول

لزعيما القبيلتين أحضرت لكما القتلة في طريق الجنازة لتأخذا بثأر ابنيكما قبل دفنهما، وقد فعلت ذلك حبا فيكما وحزنا على ابنيكما اللذين راحا ضحيتهم، فلا تفشيان سري، فيهيج الشعب وتأتي الشرطة لتخليصهم، ولكن بعد موتهم.

وافق الجميع، واثنوا على الفكرة، وقال الملك: - نفذوا، وزير الشرطة يذهب ويرتب للجنازة، وأرى عدم حضوركم، ولا نور أيضا، لتكونوا بعيدين، سنذهب لمنازل الضحايا، لمواساة أهليهم قبل موكب التشييع، ثم نعود، فلدينا أعمال تخص المملكة، والأمير نور مصاب لا يستطيع الخروج.

خرج الوزيران لينفذا الأمر، وذهب نور لجناحه ليكون بجوار زوجته المصابة.

(٣٩)

تم تنفيذ الخطوات بدقة متناهية، كما رسمت لهم من نور والملك، وحدث التصادم المخطط له حرفياً، فقتل ثلاثي الشر، زين وجو وشارل، فمن قتل يقتل، ووصلت الشرطة وفضت التلاحم وصرفت الناس، والجثث استلمها ذويهم، فتم كل شيء دون خطأ واحد يذكر.

ذهب الملك من فوره ومعه الملكة رنا ابنة عمه القتيل، بحراسة مشددة إلى بيت زين، ووعد بالتحقيق والشفافية في الواقعة، وتوعد القتلة بأشد العقاب، وتقبل ابنه جاك العزاء من الملك في والده، فبداخله مشاعر مختلفة، فثأره الآن مع زعيما القبيلتين، فهما من قتلا والده وليس الملك، لكن زعيما القبيلتين مكلومان في ابنيهما، ولا أحد يستطيع قول شيء لهما، فلم يهاجما العربة ولم يقتلا أحدا وإنما المشيعون، وهم أهل الجزيرة كلهم من قتلوهم، وانتهى الأمر بضياع دمهم بين أهالي الجزيرة كلها، فلم يقتلهم شخص محدد أو فصيل معين، وأسدل الستار على تلك القضية.

دار حوار بين رنا وأخيها جاك، قال لها جاك: - دم أبي في يد زوجك ونور.

فردت علية بهدوء: - وهجوم الناس على قصركم وإحراقه بعد مقتل الفتيان والحرس وإحراق المركب مباشرة، من رتبه؟! فالملك نفسه تفاجأ به، إنه دليل على أن الملك لا دخل له بمقتل والدنا، فهو قد قتل نفسه يوم سلك طريق الدم.

- أنت خائفة على ضياع المُلك.

- وأنت تريده، وأي مُلك هذا الذي أريده، لقد أجبرت على هذا الزواج من أجل المُلك أيضا.

- إني أشم رائحة غدر من القصر لوالدنا.

- هذا شأنك، فكل حواسكم مسخرة للمُلك، والدك من قتل نفسه، إنه كاد أن يقتل نور ومايا، ألا يدافعون عن أنفسهم؟

- أنت تقفين ضد أبيك.

- لا.. غير صحيح، أنا لا أحب الظلم، ووالدي ظلمني وقتلني وحكم علي بالإعدام طيلة حياتي، وحرمني من حبي الوحيد، بل وذهب ليقتله، لا شيء كان سيوقف أبي من أجل المُلك.

- أنت قاسية.

- إنني ميتة، أرى من أحب أمامي، وتتمتع به غيري، وأعيش مع رجل في سن أبي، استخدم أنت عقلك، فأنت كبيرنا الآن.

- وأنسى دم والدنا؟

- دم والدنا، ودم جو وشارل أصدقاء الدم، قتلهم كان رد فعل، وليس فعلا، شاب يموت يوم عرسه، وأخر في عمر الورود، زهرة لم تتفتح بعد، وثلاثة حراس، وعشرة أيضا، وهم القتلة الذين نفذوا مخططهم وماتوا، فهم أيضا لهم أولاد وزوجات، لو لم يدفعهم بأمواله لعاش الجميع، أي أن مجموع ضحايا والدك أربعة عشر قتيلا أزهقت أرواحهم، أنت تملك عقلا راجحا فاستخدمه، إنني أريدك حيا، فأنت أخي ووالدي وسندي، ولا أتخيل أن أخسرك يا جاك.

- رغم صغر سنك، أحس أنك أمي.

- فأطع كلام أمك التي تحبك، رغم أنك اشتركت في ذبحها حية.

أحكم نور سيطرته على الجزيرة، وأحبه الجميع لعدله، فلم يفرق في التعامل بينهم، وكانت المساواة أهم سماته، وبدأ يرتب لرحلة خارجية لاستيراد احتياجات الجزيرة بعد موت جو وشارل، وقبل نفاذ بضاعة الجزيرة، فالرحلة ستكون بالمركبين معا فقد صادرهما الملك، لتكون أكبر صفقة تمت للجزيرة، وكذلك تصدير منتجات الجزيرة واعتمد في ذلك على رئيس كل مركب، فكانا على علم بكل زبائن جو وشارل، مشترين وموردين، ولجعلهم يبوحون بما يعرفون، قام برفع رواتبهما، فأسعد البحارة، واستجد لهم قانونا بنسبة في المبيعات لرئيس البحارة الذي يبيع ويشترى، فأفصحا له عن البضائع المطلوبة للتصدير وكمياتها ومن يشترى ومن يبيع، وأصدر نور أوامره لوزير الزراعة لشراء منتجات المزارعين بأسعار أعلى من

التي كان يشتري بها جو وشارل حسب قائمة الأصناف والأسعار التي زوده بها رئيسا المركبين، فجمع نور مشترين وموردين جو وشارل معا، وأعطاه مهلة لمدة شهر لتشوين البضائع المطلوبة للإبحار، وعرف أن مدة الرحلة عشرة أيام ذهاب ومثلهم عودة، وأسبوعا للبيع والشراء، فالبائعون والمشترون جاهزون دائما، أي أن المدة كاملة لا تجاوز الشهر.

استطاع نينو جمع أموال لا بأس بها، ولأن النسبة هي العشر، وعلى الجميع دون أي محاباة لأحد، كان الجميع يدفع دون غضب أو تهرب، وكل هذا التقدم في الإدارة والتحصيل أسعد الملك، وحدثه نور عن رغبته في إدخال الكهرباء للجزيرة كلها، وأن الفقراء من حقهم هذا، والكهرباء هي ما ستدفع الجزيرة للتقدم، فستدخل الصناعة المميكنة، بدلا من اليدوية، وأن كهرباء الطاقة الشمسية لا تصلح للصناعة، وشرح للملك أن الجزيرة بحاجة إلى محطة واحدة تفي بالغرض، وحينما تكبر الصناعة ونحتاج لكهرباء أكثر سنشترى محطة أخرى، وهذا كاف جدا، فلدينا ما نصدره لتوفير ثمن المحطة وكذلك الذهب، وأنه سيأخذ معه عشرة سبائك فقط بخلاف البضائع التي سيحملها معه، وافق الملك على كل شيء، إلا أن يسافر نور، لأنه خائف عليه، ولأول مرة يخاف الملك أن يكون بمفرده، لقد تغلغل نور في كل حواس الملك والجزيرة، وعرض الملك على نور أن يسافر رامي ونينو، ويأتيان بمهندسين المحطة ويتحدثان معهم، أقنع

نور الملك أنه لابد من أن يقود أول رحلة بنفسه، ليتفقد صناعات كثيرة لنقلها إلى الجزيرة لتصنيع احتياجاتنا، وكذلك يتعرف على الناس، وبعد ذلك يرسل رامي وإن تطلب المزيد يذهب معه نينو، وافق الملك بشرط العودة السريعة.

مرت المدة وتم الاستعداد للإبحار خلال أيام قليلة، وتجهز رامي، وأوصى نور وزير الشرطة ألا يترك القصر، ويجهز له مكتبا عند باب القصر الداخلي يجلس فيه بنفسه ومعه رجاله، وكذلك رجال عند الباب الخارجي وحول السور من الداخل والخارج، وحركة الملك وجولاته تصحبها عشرون عربة حراسة بخلاف حرس الخيول، ليضمن له حماية كاملة، كان الملك في قمة السعادة، وقال لو كان لي ولد لن يصنع أكثر من هذا، بل ربما أراد العرش مبكرا، وجاء نور الخبر السعيد قبل الرحلة، فالأميرة مايا حامل، انقلب القصر لعرس كبير بهذا الخبر، وعرفت الجزيرة أيضا، حينما عرف المقربون، فلم يتحكموا في الفرحة لنور، لأنها تحبه لعدله ووسامته.

(٤٠)

أبحر نور بالمركبين ووصل إلى الجزيرة المرادة في المدة المحددة بفضل خبرة وإتقان سعد وسامي قائدا المركبين، ورسا المركبان ونزل نور ورامي وسعد وسامي، وتركوا كل الرجال على المركبين لحماية البضائع، فذهبوا إلى التجار، يحملون عينات من البضائع فسعد و سامى يحفظان الطريق عن ظهر قلب، وسار نور في الجزيرة، فأعجب بنظافتها وشوارعها الكبيرة، وكثرة المحلات التجارية والبضائع المعروضة بها، وعرف من سعد وسامي أنها جزيرة تجارية، فكل ما يخطر ببالهم سيجدونه معروضا بها، وأي شيء يريدونه، يطلبونه فقط من التاجر، وإن لم يكن موجود حينها، يوفره لهم في الرحلة المقبلة، فكان التاجر يستورده من دول أخرى، وكان الناس في الشارع يحيون نور، فمن شكله توقعوا أنه أوربيا، وسيشتري منهم الكثير، غير أن الجمال يسعد النفس ويريح العين.

وصلوا إلى التاجر رام، واستقبلهم بترحاب كبير، ورحب بنور وقال له أنت لست من الجزيرة، فسكان الجزيرة شكلهم مثلنا، وأنت أوروبيا، بل ربما من القايكنج، ضحك نور وقال له أنا من أوروبا فعلا، وجئت إليك للتجارة، لأني أريد افضل الأسعار وأجود البضائع، وعندما سأل رام عن جو وشارل، أخبره نور أنهما ماتا بعد أن قتلا عدد من سكان الجزيرة، فقتلهما أهل الضحايا، وقدم التاجر لهم شقة

للإقامة، كما كان يفعل مع جو وشارل، وعرض على نور الأسعار وعلم أن الكمية تضاعفت، مما أسعد رام، وبعد الغداء ذهبوا للراحة، وفي اليوم التالي أرسل نور قائدا المركبين سعد وسامي إلى الرجال للاطمئنان عليهم، وحتى لا يعلما خطواته، وأخذ هو ورامي جوله بالجزيرة، كان أول ما رآه أمامه مكتبا لشركة الشحن التي كان يعمل بها، فالجزيرة تستورد وتصدر، فهي جزيرة تجارية، بل مركزا تجاريا، لكن ليس بها مطارات، إلا مطار صغير للملك وحكومته، ولكن بها ميناء وسفن تذهب إلى كل اتجاه، ابتسم ولم يدخل المكتب، وشكر الله على ما وصل إليه حيث استجاب الله دعوته وجعله ملكا متوجا، بل وتزوج بنت الملك، وأصبح أميرا ورئيسا للوزراء، فقد انتهى عهد الشركة، وكان فضل الله عليه بلا حدود وفوق كل وصف، وأكمل السير وهو مبتسما، راضيا بما أعطاه الله، وأحس أن هناك من يراقبه، أيقن نور أن التاجر رام أرسل من يتتبعه ليعرف تحركاته، وهذا أسعد نور حتى لا يحتاج إلى إثبات ما وصل إليه من أسعار، ففحص سوق الجزيرة لمعرفة الأسعار وأنواع البضائع، وكان يعرض بضائعه على التجار ومعرفة الأسعار قبل جلوسه مع رام مرة ثانية، واستهلك ثلاثة أيام جاب فيها الجزيرة، وسأل عن كل ما يريد مثل محطة توليد الكهرباء وماكينات البلاستيك لصناعة زجاجات تعليب زيت الزيتون وعصارة زيت الزيتون، فبدلا من تصدير الزيتون يصدر زيته وهو أغلى بكثير، ثم ذهب إلى رام في اليوم الرابع هو ورامي فقط.

وجد رام ينتظره ومعه ما وصل إليه نور من أسعار، فقال له نور: - أنت رجل خطير يا رام.

- بل أنت الأخطر، لقد كان جو أسهل بكثير منك.

- لا، جو كان يبخس الناس أشياءهم، وأيضا كان لن يوافق على أسعارك، أما أنا أعطيت كل إنسان حقه، ولابد أن يأكل الجميع مثلنا.

- أنت رجل جميل داخليا وخارجيا.

ضحكا، واتفقا على أسعار كل شيء، ماكينة توليد الكهرباء، وماكينة البلاستيك وعصارة الزيت، وكل ما يلزم الجزيرة من بضائع، وأعطاه مدة ثلاثة أشهر لتكون الماكينات كلها عنده، ومعها الخامات والفنيين الذين سيقومون بالتركيب والتشغيل، وأعطاه نور فارق الثمن ذهبا.

عاد نور منتصرا فكل ما أنفقه يعادل نصف ما معه من سبائك، أهداه رام هاتفا محمولا متصلا بالقمر الصناعي، ليتحدثا بشأن أي صفقة جديدة، ليكون الاتصال دائم بينهما، وطلب منه نور شبكة اتصال للجزيرة كلها، بعد انشاء محطة الكهرباء، فقال رام سوف أقدم لك عرضا كاملا وأرسله لك على الواتس اب، وعاد نور إلى الجزيرة.

(٤١)

عاد نور عودة المنتصر، بعدما أحضر كل احتياجات الجزيرة سواء الدائمة أو اليومية، واتفق على مشاريع قومية، لتدخل الجزيرة عصر الكهرباء الحقيقية، فتدير الماكينات وتنشئ المصانع وليست إنارة فقط، واستقبلته الناس بالموسيقى والرقص والهتاف، واستقبله الملك بشوق الأب لابنه وليس كزوج ابنته فقط، وأبدى سعادة لا توصف بما حققه نور، فأخبره نور أن الآتي أفضل وأحسن، وعاد إلى مباشرة عمله ودفع كل شيء يريد الإسراع به، وسط سعادة الوزراء العاملين معه والمستشارين، وترحاب الناس به أثناء سيره في الشارع، فالجميع أحبه لأمانته وعدله وحبه لهم.

تقابل الأمير جاك مع ابني جو وشارل أكثر من مرة، وكان يفصل بين اللقاءات بمدة زمنية، فتارة يقابل ابن جو، وأخرى يقابل ابن شارل، وكانت المخابرات تتعقب ذلك، وكان حديثهم عن شخصية السائق الذي قاد عربة آباءهم أثناء الاعتداء عليهم وقتلهم، والتأكد من حقيقة توقيت ومسار العربة هل كان بطلب من أحد أن يسلك طريق الجنازة، أم كانت مصادفة، فكان الحل الوحيد تتبع جميع سائقي الشرطة في منطقة الحادث، وقال ابن جو أن جميعهم يذهبون إلى نوادي الجزيرة الليلية، وكلها ملكنا، فمنذ قديم الأزل وهم أصحاب

الرايات الحمر، وقد أعطى أسماءهم للبنات هناك، وطلب استدراجهم ومعرفة من قاد تلك العربة، وإن تم معرفته فعليهن معرفة التفاصيل ولهن مكافأة مذهلة، وهم في انتظار أي جديد يصلون إليه.

استقبل نور مكالمة من التاجر رام بجزيرة أوكلرا، وأبلغه أن الماكينات والمهندسين في الطريق إليه، وسيصلون خلال أسبوعين.

دخل وزير المخابرات على نور في مكتبه، ونقل له ملخص لقاءات الأمير جاك وابني جو وشارل، وأنهم يبحثون عن سائق العربة، لمعرفة إن كان الحادث مدبرا أم وقع بالمصادفة.

فسأله نور: - وهل السائق كان على علم بشيء؟

- السائق تفاجأ بما حدث ولم يطلب منه ذلك، أنا وزعيما القبيلتين من رسم طريق الجنازة حسب طريق العربة وليس العكس، فالسائق قد تفاجأ بالهجوم، وقد قمت بتأنيبه لكونه سار في طريق الجنازة، فاعتذر لكونه لم يكن يعلم أن هناك جنازة، وأنه كاد أن يموت، فعاقبته بنقله إلى درجة عسكري بدلا من درجة سائق، فاطمئن فلن يصلوا إليه، وإن وصلوا فهو لا يعرف أي شيء.

- أحسنت.

وصلت المعدات إلى الجزيرة وأقيمت الأفراح ابتهاجا بوصولها، وبدأ العمل في تركيب أول محطة لتوليد الكهرباء بالجزيرة، وبدأ مد كابلات الكهرباء إلى المنازل والمصانع التي وصلت ماكيناتها من الخارج، عصارة الزيتون وماكينة البلاستيك التي ستنتج زجاجات البلاستيك لتعبئة زيت الزيتون، وصارت الجزيرة كخلية نحل تعمل ليل نهار من أجل إنهاء توصيل الكهرباء.

توصل الامير جاك إلى سائق عربة السجناء، عن طريق رجاله، فهم في كل مكان وبالمال تستطيع عمل ما تريد، وكانت المفاجأة أن السائق بالفعل قد تفاجأ بالجنازة ولم يطلب منه أحد السير بطريق معين، وأنه تمت معاقبته بنقله لدرجة أقل، رغم أنه سار في الطريق المعتاد، فهدأ جاك نسبيا وأصبح لديه طريقا واحدا للحكم، وهو التخلص من الملك، ورفض أن يسلك طريق والده الذي تم إبعاده عن الحكم بواسطة أخيه والد الملك الحالي كاي بعزله عن ولاية العهد ومنحها لابنه كاي والذي أصبح الملك الآن، وكرر الملك كاي نفس الأمر، وكأن التاريخ يعيد نفسه بكسر قانون الملك في العائلة بأن منح ابنته ولاية العهد بدلا منه، ولكن لابد من التخطيط، فإذا تخلص من الملك، لابد أن يتخلص في نفس اليوم من نور وزوجته ولي العهد.

قطع سكون القصر بكاء الوليد الجديد ابن نور، الحفيد الأول للملك، وأول مولد ذكر بالقصر، هرع الملك إلى جناح ابنته، وكاد يرقص من الفرح حينما علم أن المولود ذكرا، حمله وقبله وقبل ابنته، وهنأ نور، وحمل المولد وصاح سعيدا: - إن عينيه زرقاوين مثل والده، كذلك البشرة بيضاء.

ضحك الجميع من فرط السعادة، وسأله الملك: - ما اسم المولود؟

- وهل يوجد غيره؟ إنه كاي.

فرح الملك، وقبل نور وشكره، وأقيمت الأفراح بالجزيرة، احتفالا بأول حفيد للملك، وأول ابن للأمير نور، فذبحت الذبائح، ومدت موائد الطعام في كل الميادين.

انزعج الأمير جاك حينما وصله خبر أول مولود ذكر بالقصر، فهو أول حفيد للملك، والكارثة أنه من نور الذي يكرهه كرهاً كبيرا، لأنه امتلك الجزيرة، وتم تسمية الطفل باسم جده الملك، فكل يوم نور يقترب فيه أكثر وأكثر من السيطرة التامة على الجزيرة، كما سيطر على الملك، وبهذا المولود أصبح الملك كاي في يد نور وليس نور في يد الملك، وعليه فلابد وأن يسرع في خطواته.

(٤٢)

أخيرا أنارت منازل الجزيرة كلها، غنيها وفقيرها، وأصبح نور هو نور الجزيرة، وموحد القبيلتين، لأنه ساوى بينهما، ووعد أن أي زواج يجمع بين القبيلتين ستتحمله الدولة، فزاد التزواج بين أفراد القبيلتين كنوع من التقارب وتوحيد الدم، ودارت ماكينة البلاستيك وانتجت أول زجاجة تعبئة للزيت، وكذلك دارت العصارة وسال منها ما ملأ أول زجاجة في حضور الملك والأمير نور معا بجوار الماكينات، وتم تسمية المنتج زيت يانج كاي تيمنا باسم الأمير الحفيد (كاي الصغير)، واتصل نور بالتاجر رام الذي باعه الماكينات، فور خروج أول زجاجة زيت ليشكره على همه مهندسيه ويبشره بإنتاج أول زجاجة زيت زيتون، ورد عليه رام بتهنئة خاصة منه، لكنها تهنئة عملية، فطلب حمولة مركب من المنتج، وسوف يصدرها رام لكل الجزر المجاورة، رقص نور من الفرحة ورقص العمال كذلك، وعانقه الملك.

ذهب الملك ونور ومعهم صندوقا من الزيت المنتج ودفع الملك ثمنها من ماله الخاص ليكون أول دخل للمصانع من مال الملك، والسعادة تقفز أمامهم وتسبقهم للقصر.

فجأة صرخ الملك صرخة مدوية وصل صداها إلى كل من بالقصر، فجاءوا إليه مسرعين في هلع، فقد كان في جناح الملكة رنا يتلوى من الألم وهو يصيح: -أحشائي تتقطع، شراب التوت مسموما.

وصرخت الملكة رنا: - أمسكوا بوصيفتي الأولى، فهي الخائنة.

كانت شكوك الملكة في محلها، فالوصيفة قد حضرت معها من بيت والدها، وكان من السهل تجنيدها من قبل الأمير جاك، فمن السهل عليها أن تضع السم للملك ثم تهرب إليه وهو ينتظرها في قصره، ومعه أولاد جو وشارل، فهما من دعماه ماديا، وكذلك فلديه فرقة مدربة من الجند الخونة، والخطة كانت أنه ما إن يراها تدخل حديقة قصره، فهذا يعني موت الملك، وكانت حديقة قصره مكتظة بالحرس والجنود المدججين بأسلحتهم، حتى يهجموا على قصر الملك، لقتل ابنته وزوجها نور، ويحتلون القصر ليعلنوا جاك ملكا على الجزيرة. وهذا ما أقرت به الوصيفة حينما أمسك بها حرس الملك عند دخول الأمير نور، فقد وضعت الوصيفة السم في شراب التوت، واختارت شراب التوت لأن الملك يحبه، لأن الملكة رنا لا تحبه، فاختارته بدلا من الطعام لتتفادى موت رنا حبيبتها التي تلازمها طوال عمرها، ولكن رنا شربته، كما أمرتها الطبيبة لكونه يَدِرُّ اللبن للطفلة، فشربت ما لم تحبه، من أجل ابنتها التي تحبها.

بعد صراخ الملك المحتضر صرخت الملكة رنا أيضا: - أحشائي تتقطع، أغيثوني.

وكان الملك قد أسلم الروح، وتبعته الملكة رنا، قبل وصول طبيب القصر إليهما، فقد كان سُمًّا زُعافا وجده أبناء جو وشارل في خزينة جو السرية.

خرجت الأميرات يصرخن في الحرس: - اقتلوا الوصيفة الأولى واضعة السم للملك والملكة، ثم اقتلوا من حرضها.

نزل الخبر على نور ومايا كالصاعقة، أسرع نور كالريح إلى جناح الملك، لكنه وجد الكارثة المدوية الملك ممددا جثة هامدة، وبجواره الملكة رنا، أحب اثنين إلى قلبه، الملك كاي من كان له أكثر من أب، وتفانى نور في خدمته، ورنا القلب الذي أحبه، وضحى به لحبه للملك وكراهيته للخيانة، وزاد من بعده عنها، كونها زوجة هذا الرجل الذي أحبه كابنه، نظر إلى رنا ورثى قلبه الذي يبكى بين ضلوعه، رحلت من أحبها، ولم يحب مثلها، لكن هكذا تسير به الأقدار.

تم الإمساك بالوصيفة، وكانت عند باب القصر، توشك أن تخرج للذهاب إلى جاك حسب الخطة، ومن أول صفعة، اعترفت بكل شيء، فالأمير جاك أعطاها ذهبا كثيرا، وينتظرها في قصره ومعه حيش جرار، أمر نور قائد الجيش بالتحرك إلى قصر جاك والقضاء عليه، وقتل كل الخارجين على الملك، وقال بغضب:

- لا تقبضوا على أحد، أقتلوهم جميعا، فالخائن لابد أن يموت، فلا مكان له بيننا، وكل من يجالسه فهو معه وفي كفته، فمن تجدونه معه من إخوته، أو أقاربه أو أصدقائه فاقتلوهم جميعا، وكذلك كل الحرس والجنود، لا تقبضوا على أحد، فلا مجال لمحاكمات لخونة فقتلهم أيسر، فلو وصل جاك للكرسي كان سيعدم كل رجال الملك، لقد

قتل أخته من أجل الكرسي، فماذا سيفعل بنا؟، فإن لم نقتله قتلنا، فاذهب أيها القائد وخلصنا من جميع الخونة وذيول الفتنة والمؤامرة، نريد عهدا جديدا نبني فيه دولتنا على الحب لا الخيانة.

وصل قائد الجيش برجاله إلى قصر جاك، فوجد أعدادا كبيرة من الفرسان مجهزة تنتظر وصول الوصيفة، كعلامة لموت الملك، والتحم الفريقان ودار القتال، علم جاك بموت أخته فلم يهتز منه شعره لموتها، وقال لكل ثورة ضحايا، وسقط عدد كبير من الخونة، وكان جاك مختبئا داخل القصر، فلم يواجه، وكان معه إخوته الذكور كلهم، وأولاد أصحاب النجمة، فدخل عليهم رجال الملك فقتلوهم جميعا، وخرج الجنود بجثة جاك ليراها رجاله، وما أن رأوها، حتى اوقفوا القتال، واستسلموا لمقتل أميرهم، وانتهي أكبر تمرد في الجزيرة بموت من أسسوا للفساد.

أحكم نور قبضته على الجزيرة، وساعده حب الناس له باتباع أوامره في ذلك، وخرجت أفواج الناس إلى الشوارع تتوعد القتلة، وتؤيد نور فيما يفعله

في صباح اليوم الثاني، تمت محاكمة سريعة وعلنية في ساحة الاحتفالات أمام القصر، لحراس وجنود جاك الخونة الخارجين على الدولة الذين حاربوا الجيش لاحتلال القصر، وحكم عليهم بالإعدام،

ومصادرة ممتلكات وأموال عائلة جو وشارل التي دعمت المتمردين على الملك، فمن قبل حاولوا قتل نور والملكة مايا، وأحرقوا المركب، ولكنهم لم يتراجعوا عن مؤامراتهم حتى خططوا لقتل الملك والملكة، ومحاولة احتلال القصر الملكي، هم لا يتوبون، فالثعبان لا يفرغ فمه من السم، وحكم عليهم بالطرد من الجزيرة وأن يعودوا من حيث أتوا، ويتركوا الجزيرة لأهلها ومن يحبها.

أصدر نور أمرا فوريا إلى سعد قائد المركب بنقل من تبقى من عائلتي جو وشارل إلى خارج الجزيرة، خاصة وأن أغلب رجالهم أبناء جو وشارل قد ماتوا مع جاك، فكلهم خونة، ولم يبق منهم سوى النساء والأطفال الصغار، وقال قولته المشهورة:

- الحية لا تنجب إلا ثعابين، وابن الثعبان ثعبانا وأصحاب النجمة رمز للخيانة مدى الأزمان.

حملهم سعد وأخذ معه الحرس الكافي وأبحر قبل دفن الملك، كي تنظف الجزيرة من الخونة والثعابين.

(٤٣)

حسب قانون الجزيرة لابد من تنصيب الملك الجديد قبل دفن الملك، ليقود جنازة الملك، وعليه فقد امتلأت ساحة الاحتفالات بالناس، فعلى المنصة وضع ناحية اليمين نعش الملك كاي، وفي منتصف المنصة وضع كرسي الملك وجلست عليه الملكة الجديدة مايا، وبجانبها زوجها الأمير نور ووقف على المنصة رجال الدولة من مستشارين ووزراء، لتنصيب الملك الجديد.

حسب دستور الجزيرة وضع نور، كرئيس للوزراء التاج الملكي على رأس الأميرة مايا لتصبح الملكة مايا، وما أن وضع التاج على رأسها حتى صفق الجميع، وهتف الناس لها: - تحيا الملكة مايا.

وقفت الملكة مايا، وتقدمت إلى حافة المنصة، لتقترب من الناس وتلقى كلمتها، صفق لها الناس وهتفوا بحياتها، تأييدا واعترافا بها، فانحنت لشعبها بحب وقالت: - أيها الشعب العظيم، لقد اغتالت أيدي الشر جلالة الملك كاي، من أحبكم وصنع كل شيء من أجلكم، حتى أنه وقف أمام أهله من أجلكم، فكان هذا جزائه (وأشارت إلى نعش الملك) أن يغتالوه، فكما أصبحت أنا الملكة مايا فإن زوجي الأمير نور يصبح من الآن الملك نور وليس زوج الملكة، يصبح الملك بما قدمه للجزيرة، فقد وحد القبيلتين بعد صراع عمره بعمر الجزيرة،

وأدخل الكهرباء والصناعة والتعليم وجعل لكل وزارة وزيرا متخصصا، وعليه أيها الشعب العظيم، لابد من تنفذ وصية الملك، (وصاحت بهم) هل تنفذون وصية الملك كاي؟.

فصاحت الناس: - نعم.. نعم.

- قد أوصى جلالة الملك كاي بتنصيب الأمير نور ملكا على الجزيرة، لأنه أفضل وأصلح من يقودها، (وصاحت بهم) هل توافقون؟

صاحت الناس بأصوات كالرعد: - نعم.. نعم.. يحيا الملك نور.

فقامت الملكة بوضع تاجا كان بيدها على رأس نور، وقالت بصوت مرتفع: - يعيش جلالة الملك نور.

فصفق الجميع، وهتفوا باسمه في جنون من شدة حبهم له: - يحيا الملك نور، يحيا الملك نور.

تقدم نور وقد دمعت عيناه فقد تفاجأ بتصرف مايا، ولم يخطر له على بال، وتفاجأ بحب الناس الشديد له فقال للجميع: - أيها الشعب العظيم، هذا الرجل (مشيرا لنعش الملك) هو أعظم من قابلت في حياتي، لقد وقف ضد عمه من أجلكم، ووقف ضد ابن عمه من أجلكم، وضد أصحاب النجمة وكل القوى الضالة والمضلة من أجلكم،

وكانت النتيجة اغتياله بدم بارد، كان يفعل كل شيء لإسعادكم، وكل فكرة كانت تأتي بالخير للجزيرة كان أسعد شخص بها، فكان ما يسعده أن يكون لدينا أفكار تسعد الجزيرة، وكان يعمل بكل صدق لتنفيذها، وكان يدفع إتمام مشروع الكهرباء والصناعة دفعا، هذا الرجل قد خسرناه جميعا، ولن يأتي رجل مثله، وعلينا أن نضعه في قلوبنا ونستحضره في حياتنا، فنصر على النجاح والسير في الطريق الذي رسمه لنا، والآن أيها الشعب العظيم نبدأ مراسم تأبين الملك.

بدأت مراسم دفن الملك وحمل النعش، وتقدم الملك نور الجنازة، واستعرض نور ما حدث له مع نفسه، ودار شريط الأحداث أمام عينيه، فخلال عامين فقط، تحول من إنسان تائه مهدد بالموت في بحر جبار يهده العطش والجوع، وبلا مال ولا مأوى، إلى أن أصبح الملك المتوج للجزيرة التي ألقاه الله إليها، أنها أقدار القادر العظيم، ودعوته أمام الكعبة أن يكون ملكا متوجا.

عاد الملك نور بعد دفن الملك كاي، وجلس على العرش وطلب عقد اجتماع فوري للمستشارين والوزراء وكل رجال الدولة وزعيما القبيلتين، وقام بتوزيع المهام الجديدة وقال لهم: - لقد أصبحت الملك وهذا لا يعني أنني أفضلكم، فكلكم أفاضل ومحترمون، وكلنا سواء ومتساوون، وأفضلكم هو أفضلكم بقلبه إلى الله، وحبه لأهل الجزيرة

وتفانيه في خدمتهم، ومن اليوم العدل أساس الملك، فاعدلوا بين الناس، أرجو أن تظل هذه الجملة في الأذهان ونعمل بها، فهي سر الحكم وسر النجاح، لنبدأ معا عصرا جديدا من الحرية، وعلينا في عملنا أن نأخذ بالأسباب، ونترك النتيجة على مسبب الأسباب وهو الله الحق، وتعود الجزيرة إلى اسمها الأصلي (نور ستان) وينتهي اسم مورستان، فما وصلنا إليه من تقدم وأسلوب تفكير، وأعود وأقول العدل ثم العدل، فالعدل يجعل الجميع واحدا، انحنى الجميع له وقالوا: - يحيا الملك العادل، تحيا نورستان.

(تمت)

صدر للمؤلف

النمرة غلط مسرحية
قلوب عامرة رواية
الغربة شعر
وكالة كوهين مسرحية
بيت اللحيوي (أحفاد برهوت) رواية
مملكة مورستان رواية
تحت الطبع:

وعدى العمر شعر